روايات مصرية للجيب
الكتاب السابع عشر
كوكتيل ٢٠٠٠
ثقافة الغد .. لشباب اليوم

الشيء
وقصص أخرى

نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

- مع بدء العـــد التنـــازلى ، نحو القـــرن الحادى والعشرين ..
- مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب ..
- مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..
- مع كل هذا جاءت كوكيـــل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب إلى المعرفة ..
- إلى الحضـــارة ..
- إنها ثقافة الغد .. لشباب اليـوم

د. نبيل فاروق

لدواعى الأمن

(قصة قصيرة)

انتفخت أوداج عم (إسماعيل) ، حارس بوّابة المستشفى ، وبدا سعيدًا فخورًا مزهوًّا ، وهو يختال بزى الحراسة الجديد ، الذى منحته إياه إدارة المستشفى، ضمن التجديدات الشاملة، التى يجريها المدير الجديد ، وارتسمت ابتسامة واسعة على وجه عم (إسماعيل) ، وهو يفتل شاربه ، أمام المرآة الكبيرة الجديدة ، فى مدخل الأطباء ، وخُيّل إليه أنه صار أكثر رجال الدنيا وسامة ، فى ذلك الزى الأزرق ، ذى الشرائط الحمراء ، والأزرار الصفراء اللامعة ، والقبعة التى تشبه ما يرتديه رجال الشرطة الرسمية ، وشدّ قامته فى اعتداد ، يكاد يهتف :

ـ انهدى يا أرض ، ما عليك مثلى .

لولا خشيته من سخرية عمال المستشفى ، وعباراتهم اللاذعة ، وهم الذين عهدوه دائمًا فى معطف رث ، كان يحتل منذ قديم الأزل مكانا ما ، وسط المعاطف البيضاء ، ولم يمكنهم هضمه بعد ، فى هذا الزى الرسمى الجديد ..

وكان عم (إسماعيل) يعتبر هذا الزى بمثابة ترقية ، خاصة وأن المدير الجديد قد اختاره شخصيًا ، ليقف أمام الباب الزجاجى ، الذى يعبر منه هو كل صباح ، للذهاب إلى مكتبه ..

وفى زهو وحماس ، وقف عم (إسماعيل) أمام الباب الزجاجى ، وأخذ يفتل شاربيه ، ويرمق الداخلين والخارجين ، من الباب الكبير ، بنظرة صارمة قاسية ، وكأنما يحذرهم من مجرد الاقتراب ، من باب المدير ..

كل هذا على الرغم من أن عمل عم (إسماعيل) لا يكاد يُذكر ..

إنه فقط يسرع لفتح باب سيارة المدير عند وصوله ، ويحييه تحية شبه عسكرية ، وهو يدق كعبيه بعضهما ببعض فى قوة ، ثم يعدو ليفتح الباب للمدير ، ويجلس بعدها على مقعده المعتاد ، حتى تحين لحظة انصراف المدير ، فيؤدى له تحية مماثلة ، ويعدو ليفتح باب السيارة .

كل هذا والمدير لا يكلف نفسه مجرد النظر إليه ، أو حتى رد تحيته ..

إنه يتجاهله تمامًا ، وكأنما لا وجود له ..

ولكن عم (إسماعيل) سعيد ..

يكفيه أنه الوحيد ، فى المبنى كله ، الذى يلتقى بالمدير الجديد مرتين يوميًا ، دون أن يطلب موعدًا سابقًا ، مثلما يفعل أى أخصائى قديم بالمستشفى ، إذا ما أراد مقابلة البك المدير ، لعرض أمر يخص العمل ..

ثم كانت الطامة الكبرى ..

ففى ذات يوم ، وبعد وصول المدير بساعة كاملة ، ظهر رجل فى أواخر الأربعينات من عمره ، يستند إلى كتف ابنته ، ويقول بصوت لاهث متهدج :

ـ أسرعى .. أسرعى يا (خديجة) ، قبل أن ينصرف .

رمقهما (إسماعيل) بنظرته الصارمة بشكل روتينى ، ثم أشاح بوجهه عنهما ، متصورًا أنهما سيعبران مدخل الأطباء ، كما يفعل بعض المرضى ، من ذوى القربى ..

ولكنهما لم يفعلا ..

لقد اتجها مباشرة إلى الباب الزجاجى ، وقال الكهل لابنته :

ـ هيا .. ساعدينى على صعود السلم .

وهنا هبّ عم (إسماعيل) واقفًا ، فصاح بالرجل فى صرامة :

ـ رويدك رويدك .. إلى أين ؟

أجابه الرجل فى دهشة :

ـ سأدخل إلى المستشفى .

قال عم (إسماعيل) فى صرامة أكثر :

ـ الدخول من الباب الآخر .

بدت الحيرة على وجهى الكهل وابنته ، وسألته الابنة فى تردد :

ـ ألا يقود هذا الباب إلى داخل المستشفى ؟

أجابها عم (إسماعيل) .

ـ بلى .. ولكنه ليس لأمثالكما .

جرحت الكلمة ، الكهل ، فقال فى حدة :

ـ ماذا تعنى بأمثالنا ؟.. نحن قوم محترمون ..

قال عم (إسماعيل) فى غلظة :

ـ محترمون أو غير محترمين .. ليس هذا من شأنى .. الدخول من الباب الآخر .

قال الكهل فى عناد :

ـ لن أدخل إلا من هذا الباب .

هتف عم (إسماعيل) :

ـ على جثتى .

تصادف مرورى فى هذه اللحظة ، وجذب ذلك الحوار انتباهى ، فاتجهت إلى حيث يقف الثلاثة ، وقلت :

ـ ماذا هناك يا عم (إسماعيل) ؟

أجابنى بلهجة تحمل الكثير من الاستنكار والاستهجان لموقف الكهل :

ـ هذا يريد دخول المستشفى من هنا .

لم أدرك ما يعنيه هذا ، فقلت فى حيرة :

ـ وماذا فى هذا ؟.. الباب يقود إلى ممر الأطباء ، ثم إلى العيادات الخارجية ، والـ ...

بترت عبارتى فجأة ، عندما رأيت الفزع والاستنكار والاستهجان على وجهه ، وغمغمت فى حذر شديد :

ـ أليس كذلك ؟

صاح عم (إسماعيل) ، وهو يلوح بيده فى حدة :

ـ إنه باب البك المدير .

هتف الكهل فى غضب وعناد :

ـ هذا البك المدير لا يمتلك المستشفى .. إنه موظف مثلنا ، وليس له الحق فى قصر استخدام هذا الباب على دخوله وخروجه .

رمقه عم (إسماعيل) بنظرة صارمة غاضبة ، وهو يقول :

ـ ليس هذا من شأنك .

وشعرت ابنة الكهل بالقلق والتوتر ، فجذبت والدها من ذراعه فى رفق ، وهى تقول :

ـ هيا يا أبى .. سندخل من الباب الآخر .

جذب الكهل ذراعه من يدها ، وهو يقول فى صلابة وعناد :

ـ لن أدخل إلا من هذا الباب .. أنا رجل مريض بالقلب ، ومن حقى دخول المستشفى من أى باب ، ما دام يقود فى النهاية إلى عيادات الأطباء .. ثم إن أحد الأطباء ينتظر قدومى ، فأنا خاله .

قال عم (إسماعيل) فى صرامة :

ـ قلت لن تدخل من هذا الباب .

أردت تهدئة الموقف ، فقلت لعم (إسماعيل) في رفق :

ـ وماذا يضير لو دخل إلى المستشفى من هنا ؟.. إنه مريض ، وليس على المريض حرج .

صاح عم (إسماعيل) :

ـ مستحيل أن يدخل من باب البك المدير .

قلت في رفق :

ـ ولماذا مستحيل ؟

عقد عم (إسماعيل) حاجبيه ، وفتل شاربه لحظة ، قبل أن يرشده ذهنه إلى جواب ، بدا له معقولًا ، فهتف به قائلًا :

ـ لدواعي الأمن .

كدت أنفجر ضاحكًا ، عند سماعي هذا الجواب ، ولكنني تماسكت ، حتى لا يغضب عم (إسماعيل) ، وقلت بابتسامة كبيرة :

ـ أي أمن يا عم (إسماعيل) .. إنه رجل مسالم مريض ، وأؤكد لك أنه لا ينوي اغتيال المدير .

كانت العبارة واضحة السخرية ، وعلى الرغم من هذا ، فقد قال عم (إسماعيل) في شك ، وهو يرفع أحد حاجبيه ، على طريقة (فريد شوقي) :

ـ ومن أدراك ؟

وهنا انفجر الكهل غاضبًا ، وهتف :

ـ أنت رجل مخرِّف مجنون .. ابتعد عن طريقي .. سأدخل من هذا الباب .

اعترضه عم (إسماعيل) في عنف ، صائحًا :

ـ على جثتي .

دفعه الكهل في غضب ، وهو يهتف :

ـ فليكن .. سأدخله على جثتك .

صرخت الابنة مذعورة ، وحاولت أنا إنقاذ الموقف ، ولكن (إسماعيل) كان أكثرنا سرعة ، فقد قفز إلى الأمام ، ولكم الكهل في فكه ، ثم في صدره ..

وسقط الكهل ..

سقط يلهث في سرعة ، واختقن وجهه ، وجحظت عيناه ..

وفهمت أنا الأعراض على الفور ، بحكم عملي ، فصحت :

ـ إنها نوبة قلبية .

صرخت الابنة ، وأسرعت أنا أحمل المريض ، وأهرع به إلى المستشفى ، وإلى حجرة العناية المركَّزة .

أما عم (إسماعيل) ، فلم يطرف له جفن ..

فقط شيَّعنا بنظراته الصارمة ، وهو يفتل شاربه ، ثم عاد يجلس على مقعده في هدوء ، في انتظار خروج السيِّد المدير ، وهو يتمتم في صلابة وعناد :

ـ يا للسخرية !.. يريد أن يدخل من باب المدير .. ماذا أفعل أنا هنا إذن ؟!..

ولفظ الكهل أنفاسه الأخيرة ، في حجرة العناية المركَّزة ، بعد أقل من ساعة واحدة ..

وكان المدير الجديد هو أوَّل من عرف ..

ليس بحكم منصبه ، ولكن بحكم كونه ابن شقيقة الكهل ..

كان يريد مفاجأة خاله بمنصبه الجديد ، ولكن خاله فاجأه بالوفاة ..

وفى اليوم التالى ، لم يعد عم (إسماعيل) يجلس على ذلك المقعد ، أمام حجرة المدير ..

لقد احتلّ محلّه شاب وسيم أنيق ، يتعامل مع الجميع بأسلوب مهذب محبوب ..

أما عم (إسماعيل) ، فقد أصبح خفيرًا للمخازن .

وذهبت الحلّة الرسمية ..

ولكن عم (إسماعيل) صار أكثر عنفًا وعصبية وشراسة ، مع من يتعاملون معه ..

ولديه حجة جاهزة فى كل مرة ..

هذا ليس لخلاف شخصى ، ولكنها الدواعى ..

دواعى الأمن .

★ ★ ★

اختبر معلوماتك

مرة أخرى نعود ونلتقى ، على هذه الصفحات ..

مرة أخرى نختبر ثقافتك ..

وفى هذه المرة نتبع الأسلوب الجديد ، الذى اتبعناه فى المرة السابقة ..

سنمنحك المعلومة أوّلًا ..

ثم السؤال ..

وبعد أن تقرأ الأسئلة ، وتضع الأجوبة ، راجع بنفسك الحلول

وأخبرنا فى صراحة ..

هل انت مثقف ؟!

★ ★ ★

١ ـ « ملاح عربى ، ولد بجزيرة العرب ، والتقى بـ (فاسكودى جاما) فى (ملندى) بشرق أفريقيا ، وقاده إلى (قاليقوط) فى الهند .. ألّف ثلاثين كتابًا فى علوم البحار ، أشهرها « الفوائد

فى أصول علم البحر والقواعد) ، الذى وصف فيه الخطوط الملاحية فى المحيط الهندى ، هو .. » :

□ ابن منظور . □ ابن بحر . □ ابن ماجد .

٢ - « هى إعداد المراجع ، أو عمل القوائم الكاملة البيانات ، التى تتضمَّن الكتب الخاصة بأحد المؤلفين أو الناشرين ، أو عن بلدما ، أو موضوع خاص ، وهى موجودة منذ الحضارات القديمة ، مع فارق فى الاخراج أو الترتيب ، ولكن انتشارها يعود إلى ابتكار الطباعة ، وتوفر الباحثين ، ويطلق عليها اسم .. » :

□ الببلوجرافيا . □ الفوتوجرافيا . □ الجغرافيا .

٣ - « نبات من الفصيلة الباذنجانية ، اسمه العلمى (نيكوتيا ناطباكوم) ، وهو محصول تجارى هام ، له تأثير شبه مخدِّر ، بسبب وجود مادة النيكوتين فيه ، وهى تنفذ إلى الجسم عبر الأغشية المخاطية للمسالك التنفسية ، وأهم البلاد المنتجة له (أمريكا) ، و (الصين) ، و (الهند) ، و (البرازيل) ، وله آثار ضارة عديدة ، وهذا النبات هو .. » :

□ الخشخاش . □ التبغ . □ القات .

٤ - « عالم أمريكى ، يعود إليه فضل اختراع (التليفون) ، وله اختراعات أخرى عديدة ، مثل الجهاز الخاص بالحديث المرئى ، لتعليم الصم والبكم ، وأوَّل إنتاج للحاكى ؛ كما اخترع (الفوترفون) ، والمقياس السمعى ، وأسطوانات الحاكى

(البيك آب) .. أسَّس مرصد الطبيعة الفلكية ، ورأس الجمعية الجغرافية الوطنية ، وهذا العالم هو .. » :

□ جراهام بل . □ توماس أديسون . □ جاليليو .

٥ - « هو المسئول عن تكييف نشاط الجسم ، ومواءمته لوظائفه المختلفة ، وتعمل مكوناته معًا لنقل الأحاسيس المختلفة إلى الدماغ ، ونقل التعليمات إلى أعضاء الجسم ، وهو يتكوَّن من نصفين ، نصف مركزى ، وآخر طرفى ، وهذا الجهاز هو .. » :

□ الجهاز الهضمى . □ الجهاز العصبى . □ الجهاز التنفسى .

٦ - « مستعمرة بريطانية ، تتألف من ٣٠٠ جزيرة مرجانية ، منها فقط عشرون جزيرة مأهولة ، عاصمتها (هاملتن) ، استوطنها (جورج سومرز) وبحارته ، عندما تحطمت سفينتهم عام ١٦٠٩م ، وهى .. » :

□ نيويورك . □ أندونيسيا . □ برمودا .

٧ - « شكل هندسى مستو ، تحده أربعة مستقيمات متساوية الأضلاع ، تتقاطع فى أربع نقاط ، وزواياه كلها قائمة ، وكل ضلعين متقابلين فيه متساويان ، وقطراه يقسمانه إلى أربعة مثلثات متطابقة ، ومساحته تساوى حاصل ضرب أى ضلع فى نفسه ، وهذا الشكل هو .. » :

□ المربع . □ المستطيل . □ المثلث .

٨ - « مدينة قديمة ، فى موقع (استانبول) الحالية ، كانت مركزًا تجاريًا أسسه الإغريق ، عام ٦٦٧ ق.م ، واستولت عليه (روما) عام ١٩٦م ، ثم اختارها قسطنطين الأوّل ، موقعًا لمدينة القسطنطينية ، التى أصبحت فيما بعد عاصمة الإمبراطورية ، وهذه المدينة هى .. » :

□ طيبة . □ بيزنطة . □ منف .

٩ - « رحّالة وسياسى مصرى ، تعلم بالقاهرة وأكسفورد ، وقام برحلة استكشافية عام ١٩٢٣م ، فى صحراء مصر الغربية ، من ساحل البحر المتوسط إلى (دارفور) ، فاكتشف (العوينات) و (أركو) ، وتولى رياسة الديوان الملكى بعد عودته ، وهذا الرحالة هو .. » :

□ البرجينى . □ سمير رياض . □ أحمد حسنين .

١٠ - « شعبة من حيوانات مجهرية وحيدة الخلية ، تعيش فى المياه العذبة أو الملحة ، أو المستنقعات ، وبعضها طفيلى ، وتصنّف الشعبة إلى أربع طوائف ، (اللحميات) ، و (السوطيات) ، و (الجرثوميات) ، و (الهدبيات) ، وهذا التقسيم يرتبط بأسلوب الحركة ، وهذه الشعبة هى .. » :

□ البروتوزوا . □ الطحالب . □ البكتيريا .

١١ - « أشعة تصل إلى الأرض من الفضاء الخارجى ، لها طاقة كبيرة جدًا ، ويُعتقد أن مصدرها الأوّل فى البروتونات ، التى تصطدم بالهواء ، فتتفتّت ذراتها ، وتنتج هذه الأشعة ، ويرجع إليها فضل كشف الكثير من الجسيمات الأولية ، وهذه الأشعة هى .. » :

□ أشعة رونتجن . □ الأشعة الكونية . □ أشعة الليزر .

١٢ - « فيزيائى ألمانى ، اشتغل بدراسة الديناميكا الحرارية ، ووضع نظرية الكم ، ووضع أشهر مؤلفاته عن (فلسفة علم الفيزياء) ، (والديناميكا الحرارية) ، وحصل على جائزة نوبل فى الفيزياء ، عام ١٩١٨م ، وهذا العالم الألمانى هو ... » :

□ ألبرت أينشتين . □ ماكس بلانك . □ فيرديناند جال .

١٣ - « فيلسوف يونانى ، من المدرسة الأيونية ، نادى بأن الهواء هو المادة الأولية ، لكل شىء فى الكون ، ومنه تتكوّن كل الأجسام بالتكاثف والتخلخل ، وحتى مادة النفس البشرية ، وهذا الفيلسوف هو ... » :

□ طاليس . □ أفلاطون . □ أناكسمانس .

١٤ - « أحد الأبطال ، فى الجاهلية والإسلام ، وهو شاعر مطبوع ، قتل (مالك بن نويرة) ، بأمر (خالد بن الوليد) ، حضر معركة اليرموك وفتح الشام ، وحضر يوم (يمامة) ، وقاتل قتال الأبطال ، حتى قطعت ساقاه ، ولكنه واصل النزال حتى استشهد ، وهذا البطل هو ... » :

□ ضرار بن الأزور . □ سيف بن حرب . □ بلال بن رباح .

١٥ - « محافظة ومدينة على ساحل البحر المتوسط ، تعتبر ثانى مدن (مصر) ، ويربطها بالقاهرة خط حديدى ، تم إنشاؤه عام ١٨٥٦م ، وهى الميناء الأوّل أيضًا ، ولقد اشتهرت قديمًا بمكتبتها الغنية ، وكانت أعظم عاصمة اقليمية ، فى الإمبراطورية الرومانية ، وهى الآن واحدة من أفضل مدن البحر المتوسط ، ويطلقون عليها اسم (عروس المتوسط) ، وهذه المحافظة هى ... » :

□ مرسى مطروح . □ رشيد . □ الإسكندرية .

١٦ ـ « عنصر فلزى أبيض فضى ، يعدّ ثالث العناصر انتشارًا ، إذ يشكل ١٥ ٪ من تركيب القشرة الأرضية ، وهو قابل للسحب والطرق ، وموصّل جيد للحرارة والكهرباء ، ويمتاز بخفة الوزن ، مما جعله يستخدم فى صناعة الطائرات والسيارات ، وأوانى الطهى ، وفى بعض المبانى الحديثة ، وهذا العنصر هو ... » :

□ الألومنيوم . □ الزنك . □ النحاس .

١٧ ـ « فلكى بولندى ، يعتبر صاحب الأسس ، التى بُنى عليها علم الفلك الحديث ، فهو أوّل من وضع نظرية دوران الأرض والكواكب حول الشمس ، وبهذا أشار إلى أن الأرض ليست مركزًا للكون وهذا الفلكى هو ... » :

□ جاليليو . □ نيكولاس كوبرنيكوس . □ أدموند هالى .

١٨ ـ « مادة قلوية ، تستخرج من بذور شجرة الجوز المقيئ ، تستعمل بجرعات صغيرة كمنبه للمراكز العصبية ، وللتنفس ، وللدورة الدموية ، أما لو تم استخدامها بجرعات كبيرة ، فهى تعدّ واحدة من أقوى السموم المعروفة ، وكانت تُستخدم فى الماضى كسم فئران ، وهذه المادة هى ... » :

□ السيانور . □ الأدرينالين . □ الاستركنين .

١٩ ـ « رجل طباعة ألمانى ، هو أوّل من استخدم حروف الطباعة المنفصلة .. عاش فى (ستراسبورج) ، واخترع آلة الطباعة

عام ١٤٣٦م ، وأنشأ أوّل مطبعة فى (ماينتس) ، مما حوّل هذه المدينة ، مع مرور الزمن ، إلى مركز دولى للطباعة ، وهذا الألمانى هو .. » :

□ يوهان جوتنبرج . □ جيل مارسان . □ أدوارد جينر .

٢٠ ـ « مؤرخ أندلسى ، لُقّب بذى الوزارتين ، كتب (اللمحة البدرية فى الدولة النصرية) ، و (الإحاطة فى أخبار غرناطة) ، وكان له ثقل سياسى كبير ، فى الأيام الذهبية للعرب فى الأندلس ، وعلى الرغم من هذا فلم يبلغ شأنا كبيرًا ، كغيره من رجال الأندلس ، وهذا المؤرخ هو .. » :

□ ابن رشد . □ ابن الخطيب . □ ابن إياس .

★ ★ ★

الآن قرأت الأسئلة كلها ، وأجبت ..

انتقل إذن إلى نهاية الكتاب ، وانظر إلى الحلول الصحيحة ، وامنح نفسك نقطة واحدة لكل جواب صحيح ..

ثم اجمع النقط ..

لو حصلت على أكثر من اثنتى عشرة نقطة ، فأنا أهنئك ..

أما لو حصلت على أقل فـ ...

دعنا نلقى السؤال عليك مرة ثانية .

هل أنت مثقف ؟!

حلول اختبر معلوماتك

١ ـ ابن ماجد .
٢ ـ بيلوجرافيا .
٣ ـ التبـغ .
٤ ـ جراهام بل .
٥ ـ الجهاز العصبى .
٦ ـ برمودا .
٧ ـ المربع .
٨ ـ بيزنطة .
٩ ـ أحمد حسنين .
١٠ ـ بروتوزوا .
١١ ـ أشعة كونية .
١٢ ـ ماكس بلانك .
١٣ ـ أنا كسمانس .
١٤ ـ ضرار بن الأزور .
١٥ ـ الإسكندرية .
١٦ ـ الألومنيوم .
١٧ ـ نيكولاس كوبرنيكس .
١٨ ـ الاستركنين .
١٩ ـ جوتنبرج .
٢٠ ـ ابن الخطيب .

كوكتيل ٢٠٠٠

روايات مصرية للجيب

عملية صقر

الجـزء الثانى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ملخص ما سبق نشره

أسندت القيادة المصرية إلى رجال الصاعقة الأربعة (خالد) و (عمرو) و (محمد) ، و (حسن) ، مهمة تدمير أول محطة للإنذار المبكر ، فى قلب (سيناء) ، قبل ساعة واحدة من اندلاع حرب السادس من أكتوبر ، عام ١٩٧٣م ، وتم تدريبهم على العملية ، وعند هبوطهم فى أرض (سيناء) ، رصدتهم هليوكوبتر إسرائيلية ، فضحى طيار الهليوكوبتر المصرية بحياته ، لينسف الإسرائيلية ، ولكن هذا أثار انتباه وقلق الإسرائيليين ، وتضاعفت دورياتهم . للبحث عن سبب هذا الاشتباك غير المعتاد ، وفى نفس الوقت ، فوجئ رجال الصاعقة الأربعة بأن البدوى (حمدان) ، الذى كان من المفروض أن ينتظرهم ، قد مات ، وحضرت بدلاً منه ابنته (راوية) ، التى حملتهم إلى منزل (حمدان) ، وهناك حظوا ببعض الراحة ولكنهم فوجئوا بدورية إسرائيلية ، اشتبك قائدها مع الملازم (محمد) ، وهاجمه مع رجاله ، وألقوا القبض عليه ..

الفصل السادس

الخميس : ٨ رمضان ١٣٩٣ هـ ـ ٤ أكتوبر ١٩٧٣م :
الحادية عشرة والنصف صباحًا .

★ ★ ★

ركل (حسن) قطع الأثاث المقلوبة ، فى غيظ وحنق ، وشعر برغبة ملحة فى البكاء ، كتمها فى أعماقه بصعوبة ، مفضلًا اجترار حزنه وسخطه ، مع صمته المعبر ، فى حين لم يتمالك (عمرو) نفسه ، فراح يهتف فى مرارة ثائرة :

ـ كيف ؟.. كيف تركناهم يأسرونه بهذه البساطة ؟!.. كان ينبغى أن نقاتلهم .. أن نريهم من نحن ، وكيف نواجه أوغاذا مثلهم .

بكت أم (راوية) حسرة ، وهى تقول :

ـ وماذا كان بيدنا لنفعله يا ولدى ؟.. لقد هاجموه كالكلاب المسعورة ، وضربوه بوحشية ، حتى فقد الوعى ، ثم اقتحموا المنزل ، وراحوا يسبوننا ويضربوننا ، وقلبوا كل قطعة أثاث ، بحثًا عن أعوان له ، ومن حسن الحظ أنهم لم يعثروا على الحجرة السرية ، التى كنتم تختبئون فيها تحت الأرض .

صاح (عمرو) :

ـ نعم .. التى كنا نختبئ فيها كالفئران ، ونترك هؤلاء الأوغاد يقتنصون زميلنا ، دون أن نبذل أقل جهد لحمايته والذود عنه .

قال (خالد) فى هدوء حازم :

ـ كان هذا حتميًا .

التفت إليه (عمرو) ، صائحًا فى سخط :

ـ أية حتمية ؟.. حتمية الجبن والخسّة والنذالة ، و ...

قاطعته صيحة هادرة صارمة من (خالد) :

ـ كفى .

بتر عبارته ، وأطبق شفتيه دفعة واحدة ، وقد انتبه إلى أنه يخاطب قائده ، فى حين استطرد (خالد) فى حزم قيادى واضح :

ـ ما فعلناه كان حتميًا ، دون أدنى شك .. وهو ليس جبنًا أو خسة أو نذالة .. لقد كنا فى موقف يحتاج إلى الحكمة والروية .. كانت كتيبة إسرائيلية مسلّحة ، مع سيارة مصفّحة ، ومن العسير جدًا أن نقاتلهم وحدنا .. ثم أنك نسيت المهمة الرئيسية ، التى من أجلها أتينا إلى هنا .. إننا هنا من أجل (مصر) كلها أيها الملازم ، ومن الخطأ ، كل الخطأ ، أن نضحّى بـ (مصر) كلها ، لأن عواطفنا تتجه إلى الدفاع عن فرد واحد .. أيًا كان هذا الفرد .. هل تفهم ؟

صمت (عمرو) لحظات ، وهو ينظر إلى (خالد) ، ثم خفض عينيه ، متمتمًا :

ـ نعم .. فهمت .

كان حديث (خالد) منطقيًا للغاية ، إلا أنه لم ينجح فى منع تلك الغصة ، التى اختنق بها (حسن) ، وهو يقول :

ـ ولكننا أصبحنا ثلاثة .

هتفت (راوية) فى حماس :

ـ أنا رابعتكم .

ألقى (خالد) عليها نظرة قصيرة ، ثم أشاح بوجهه ، قائلًا :

ـ الخطة معدّة بحيث يمكن لثلاثة تنفيذها ، فى حالة الضرورة .

قالت (راوية) فى عناد :

ـ ولماذا لا أصحبكم أنا ؟

هتفت أختها (هادية) :

ـ وأنا أيضًا .

قال (خالد) فى حزم :

ـ القتال ليس للفتيات .

بدا الارتياح على وجه الأم ، فى حين قالت (راوية) :

ـ من قال هذا ؟.. لقد رأيت مجنّدة إسرائيلية بنفسى .

سألها فى هدوء :

ـ وهل كانت تقاتل ؟

قالت فى صلابة :

ـ كانت مع الجنود .

اعتدل (خالد) ، وتطلّع إليها طويلًا هذه المرة ، قبل أن يقول :

ـ لست أنكر وجود مجندات إسرائيليات ، ولكنهن لسن مقاتلات ، إلا فى أفلام السينما والنشرات الدعائية ، أما فى الواقع ، فهن لا يعملن إلا فى الوظائف الإدارية ، كالسكرتارية والأرشيف .

قالت فى حدة :

ـ من قال هذا ؟

أجابها فى شىء من الضجر :

ـ شرانعهم اليهودية تمنع المرأة من القتال .

هتفت (هادية) :

ـ ومن قال : إن الإسرائيليين يلتزمون بشرانعهم اليهودية ؟

لم يبد عليه الارتياح كثيرًا ، وهم يجذبونه إلى هذه المناقشة ، ولكنه أجاب :

ـ من المحتم أن يفعلوا .. فعلى الرغم من أننا نعتبرهم ألد أعدائنا ، إلا أنه من الضرورى أن ندرك ونفهم مدى إصرارهم على الالتزام بشرانعهم ، إذ أن هذا الأمر هو كيانهم كله .. ما الذى يدفعهم إلى الهجرة من بلاد استقروا فيها طويلًا ، إلى (إسرائيل) .. أليس هو ذلك النداء الدينى الذى يزعمونه ، بأنها أرض الميعاد ؟.. إن الصهيونية كلها قائمة على التمسك بالشرائع ، والتخلى عنها يعنى انهيار (إسرائيل) كلها .

سأله (حسن) فى اهتمام :

ـ لماذا توحى (إسرائيل) فى دعاياتها إذن ، بأن نساءها يقاتلن .

أجابه وقد بلغ ضجره مبلغه :

ـ للإيحاء بضعف الجيوش العربية يا رجل .. إنها تعلن أنها تقاتلنا بنسائها .. فأى عار هذا !

اعتدل (حسن) فى صرامة ، وقال فى حدة :

ـ بنسائها ؟!.. والله إننا لقادرون على الفتك بأقوى رجالها .

تدخل (عمرو) فجأة ، ليدير دفة الحوار بعيدًا ، وهو يقول :

ـ دعونا من كل هذا .. المهم الآن هو (محمد) .. ماذا سيفعلون به فى رأيكم ؟

قالت أم (راوية) فى حسرة وأسى :

ـ قلبى يتمزق من مجرد الفكرة .. إنهم أوغاد وقساة القلوب .. سيعذبونه حتمًا ، حتى يمكنهم انتزاع أية معلومات منه .

هتف (حسن) فى قلق :

ـ أيمكن أن يخبرهم بالخطة ؟!

لم يكد ينطقها حتى شعر بالندم والخجل ، فاستدرك بسرعة فى خفوت :

ـ أعنى هل يحتمل تعذيبهم طويلًا ؟

تنهد (خالد) ، وشرد ببصره لحظة ، قبل أن يغمغم :

ـ من يدرى يا رجل ؟.. من يدرى ؟

وسرت العبارة فى رءوسهم كالنار فى الهشيم ، وظلت تتردد فى أعماقهم ، على الرغم من ذلك الصمت الرهيب ، الذى خيم بغتة على المكان ..

من يدرى ؟..

★ ★ ★

« هالو .. هشو ميبع أتا ؟.. » .

تردّدت تلك العبارة العبرية ، فى أذن الملازم (محمد) ، وهو يستعيد وعيه فى بطء ، وعلى الرغم من إتقانه التام للغة العبرية ، إلا أن عقله استغرق عدة ثوان ، حتى أمكنه ترجمة العبارة إلى العربية فى ذهنه ، ليفهم أنها تعنى :

ـ هالو .. أسامع أنت ؟

كان من الواضح أن ذهنه لم يستعد صفاءه بعد ، ولكنه فتح جفنيه قليلًا ، وراح يستجمع قواه ، ليستوعب ويدرك ما حوله ..

كان ملقى فى ركن زنزانة صغيرة رطبة ، غرقت أرضيتها فى ماء آسن ، يرتفع خمسة سنتيمترات ، وأضئ سقفها بمصابيح قوية حارة ، ينفذ ضوءها وحرارتها إلى عينيه ، حتى ولو أغلق جفنيه فى قوة ..

وكانت شفته السفلى مقطوعة متورّمة ، وهناك آلام عديدة ، تنتشر فى جسده ..

ثم ميز وجه ذلك الإسرائيلى الضخم ، الذى ينحنى فوقه ، ويكرّر بالعبرية :

ـ هل تسمعنى ؟

أومأ (محمد) برأسه فى بطء ، وهو يحاول استجماع شتات ذهنه ، والسيطرة على أفكاره ، وبدأت عيناه تميزان ما حوله تدريجيًا ، والإسرائيلى يقول فى خشونة :

ـ من أنت ؟ وماذا تفعل هنا ؟

كان (محمد) يفهم كل حرف ، نطقه الرجل بالعبرية ، ولكنه تمتم فى ضعف :

ـ لست أفهم ما تقول .. تحدّث العربية ، من فضلك .

شعر بيد قوية تجذبه من شعره ، ثم هوت على وجهه النحيل صفعة عنيفة ، مع صوت صارخ غاضب شرس ، يقول بلغة عربية ركيكة :

ـ من أنت أيها الحقير ؟

تمتم (محمد) :

ـ جندى مصرى ، ضللت طريقى فى الصحراء ، وانفصلت عن زملائى .

سأله الإسرائيلى :

ـ منذ متى ؟

لوّح (محمد) بيده فى ضعف ، وقال :

ـ ثلاثة أو أربعة أيام ، أو ...

قبل أن يتم عبارته ، انهالت عليه الصفعات واللكمات والركلات كالمطر ، فى قسوة ووحشية ، ثم هتف الإسرائيلى :

ـ أيها الكاذب الحقير .. أتحاول إقناعى بأنك ضال فى الصحراء ، من أكثر من يومين ، دون أن تلوّح الشمس وجهك ، أو يصاب جلدك بالتشققات والتسلخات ؟!.. ألا تعرف من أنا أيها الغبى ؟!

كان (محمد) قد قرأ اسم الإسرائيلى فى وضوح ، على البطاقة المعلّقة بجيب قميصه الرسمى ، وقرأ العبارة المدونة أسفلها « جان موديعين » ، والتى تعنى « شعبة المخابرات » ، إلا أنه تظاهر بالسذاجة والغباء ، وهو يقول :

ـ كلّا .. لست أعرف من أنت .

صرخ الإسرائيلى فى وجهه :

ـ أنا الذى يفوق قادتك كلهم حنكة وذكاءً أيها الغبى .. أنا الرجل الذى لا يمكن خداعه أبدًا .. إنك تحاول أن تبدو ذكيًا ، ولكنك لن تخدعنى قط .. لقد فقدنا أمس طائرة هليوكوبتر ودورية كاملة ، ونحن نعلم أنكم هنا لمهمة ما ، وأنت ستخبرنى الباقى ..

تحسَّس (محمد) شفته المقطوعة فى حذر ، ثم قال :

ـ لست أعلم شيئًا .. إننى مجرَّد جندى ، و...

عادت الصفعات واللكمات والركلات تهوى على وجهه وجسده ، دون أن يطلق صيحة ألم واحدة ..

كانت المرة الأولى ، التى يقع فيها فى الأسر ، على الرغم من عدد المرات الكبير ، الذى عبر فيه قناة السويس ، وقاتل فى قلب (سيناء) ، طوال حرب الاستنزاف ..

ولكنه احتمل التعذيب فى صلابة فولاذية ، وعزم لايلين ..

وسمع (محمد) صوتًا يقول فى هدوء :

ـ كفى ..

تصوَّر فى البداية أنه أحد الضباط ، إلا أنه فوجئ بطبيب إسرائيلى ، فى معطفه الأبيض ، يتقدَّم منه ، ليفحصه فى اهتمام بالغ ..

ويا للسخرية !..

إن الإسرائيليين يصرّون دائمًا على وجود طبيب ، فى أثناء عمليات الاستجواب ..

ليس خوفًا على حياة الأسير ..

ولكن حرصًا على المعلومات ..

كانوا يخشون فقدان المعلومات ، لو لقى الأسير مصرعه ، قبل أن ينتهى استجوابه ، مع أساليبهم الوحشية ، وعنفهم الزائد ..

والعجيب أن هذا الطبيب الإسرائيلى ظلّ صامتًا هادئًا ، يراقب كل ما يفعله الإسرائيلى ، دون أن يطرف له جفن ، حتى عندما تورَّم جفنا (محمد) ، وتحطَّم أنفه ، وانتفخ وجهه .. لم يتحرك إلا عندما حانت لحظة الفحص الروتينى ، فتقدَّم يقيس نبض (محمد) ، ويفحص ضغطه وعظامه ، ثم قال فى هدوء :

ـ يمكنه احتمال المزيد .

وعاد فى بساطه إلى ركن الزنزانه ، وانقَض الإسرائيلى مرة أخرى على (محمد) ..

وعادت الصفعات والركلات واللكمات ..

ولم تتغيَّر أقوال (محمد) ..

ثم توقفت الضربات .

توقفت بعد ثلاث ساعات متواصلة ، وانهـار (محمـد) ، ولم يستطع الوقوف على قدميه ..

وهنا دخل أحد الضباط إلى الزنزانة . وألقى نظرة باردة عليه ، ثم قال :

ـ أحضروه .. الرجل يريد رؤيته بنفسه .

شعر (محمد) بذراعين قويتين تحملانه ، وتغادران به الزنزانة الرطبة ، فأيقن أنه بسبيله لملاقاة وسيلة تعذيب فائقة جديدة ،

فى زنزانة أخرى ، إلا أنه فوجئ بحارسيه يحملانه إلى ممر نظيف طويل ، انتهى بحجرة مغلقة ، أوقفاه أمامها ، وهو يعجز عن حفظ توازنه ، ثم دق أحدهما الباب فى رفق ، ودفعه قائلا بالعبرية :

ـ الأسير يا سيدى .

كان هناك رجلان يوليانه ظهرهما ، وهما يفحصان خريطة كبيرة لـ (سيناء) ، ولقد أشار أحدهما إشارة صامتة ، دون أن يلتفت ، فدفع الحارسان (محمد) داخل الحجرة ، التى بدت كبيرة نظيفة ، جيدة الإضاءة والتهوية ، وأجلساه فوق مقعد وثير ، ثم وقفا حوله فى حزم ، مشدودى القامة ..

وفى بطء ، التفت إليه أحد الرجلين ..

واتسعت عينا (محمد) فى دهشة بالغة ..

لقد كان أمامه وجه ، لا يمكن أن يخطئه مصرى واحد ، فى تلك الآونة ..

وجه أصلع حليق ، تغطى عينه اليسرى عصابة سوداء مميّزة ..

وجه الوزير ..

وزير الدفاع الإسرائيلى نفسه .

★ ★ ★

الفصل السابع

الخميس : ٨ رمضان ١٣٩٣هـ ـ ٤ أكتوبر ١٩٧٣م :
الثالثة عصرًا .

★ ★ ★

« هنا .. » .

نطق اللواء (حسين قدرى) ، قائد العمليات الخاصة ، هذه الكلمة ، وهو يشير بسبّابته إلى نقطة محدودة ، على خريطة كبيرة لـ(سيناء) ، فعقد وزير الحربية المصرى حاجبيه ، وهو يقول فى قلق واضح :

ـ هذا يعنى أنهم أصبحوا ثلاثة فحسب ، وهذا يزيد الأمر تعقيدًا .

التفت إليه اللواء (حسين) ، وهو يقول :

ـ ما زالت العملية ممكنة يا سيّدى الوزير ، حتى بعد موت (حمدان) المفاجئ ، ووقوع (محمد) فى الأسر .. لقد وضعنا حساباتنا كلها ، بافتراض أن أحدهم سيلقى مصرعه ، قبل بدء العملية .

هزّ الوزير رأسه ، وقال والقلق يعصف بنفسه :

ـ هذه العملية بالغة الخطورة أيها اللواء .. وبالغة الأهمية أيضًا ، ولست أدرى لماذا أصرّ الخبراء على ضرورة هبوط الرجال فى (سيناء) ، قبل موعد العملية بستين ساعة كاملة ؟.. هذا يضاعف الخطورة حتمًا .

قال اللواء (حسين) :

ـ إنها ليست عملية عادية ، من عمليات حرب الاستنزاف يا سيّدى الوزير .. إننا ننفذ عملية خاصة ، تحتاج إلى خداع الإسرائيليين حتمًا ، ولابد من تواجد الرجال فى قلب الهدف ، لفترة تكفى لتكيّفهم مع الظروف المحيطة ، واحتوائهم لطبيعة الخطر ، قبل تنفيذ المهمة المطلوبة .

لوّح الوزير بذراعه ، وقال :

ـ فليكن .. إنه عملهم .

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، ورفع رأسه إلى الخريطة ، مستطردًا فى قلق واضح :

ـ كل ما نملكه الآن هو الانتظار والدعاء ..

وانعقد حاجباه ، وهو يضيف فى عصبية :

ـ والقلق ..

★ ★ ★

احتاج الصقور الثلاثة إلى ساعتين كاملتين ، لاستيعاب أمر فقدانهم لزميلهم ، ولدراسة وتنفيذ الخطة البديلة ، التى تفترض انخفاض عددهم إلى ثلاثة ، ثم اعتدل النقيب (خالد) ، وقال :

ـ المشكلة الحقيقية هى أن (ثلاثة) هو أقل عدد يكفى لتنفيذ الخطة ، ولا يمكننا المخاطرة بفقد رجل آخر .

غمغم (حسن) فى مرارة :

ـ إذن فقد تم اعتبار الملازم (محمد) مفقودًا رسميًا .

تطلّع إليه (خالد) و (عمرو) لحظة ، ثم تبادلا نظرة سريعة ، وقال (خالد) فى حزم ، متجاهلًا العبارة تمامًا :

ـ فى حالتنا هذه سنلغى دور المراقب الخارجى ، وسيقود (حسن) السيارة ، ويجلس (عمرو) إلى جواره ، وأجلس أنا وحدى فى المقعد الخلفى .

قال (حسن) معترضًا :

ـ ولكن دور المراقب شديد الأهمية .. إنه ورقة الأمان عند الفرار .

قال (خالد) :

ـ ليس أمامنا سوى هذا .

اعتدل (عمرو) ، وقال :

ـ دعك الآن من تأمين الفرار ، ولنناقش أوّلًا عملية الدخول إلى المحطة (عاين) .. هل نسيتما أن الإسرائيليين استعادوا (الجيب) ، ولم تعد لدينا سيارة ؟.. كيف نصل إلى المحطة إذن ؟.. سيرًا على الأقدام ؟!

تدخّلت (راوية) لأوّل مرة ، قائلة فى انفعال :

ـ السيارة ليست مشكلة .

التفت (عمرو) إليها ، وقال فى سخرية :

ـ هكذا ؟!.. رائع .. من أين يمكننا شراء سيارة (جيب) إسرائيلية ، تحمل شعار جيش الدفاع ؟

انعقد حاجباها فى غضب ، وهى تقول :

ـ بل سنسرقها .

التفت إليها الجميع فى دهشة هذه المرة ، وقال (حسن) فى استنكار :

ـ نسرقها ؟!.. أى قول هذا ؟.. إنها ليست دجاجة ، أو حقيبة صغيرة .. إنها سيارة حربية ، لا يمكن وجودها إلا داخل المعسكرات .

قالت فى سرعة :

ـ أو فى دوريات الصحراء .

انعقد حاجبا (عمرو) ، وهو يسألها :

ـ ماذا تقصدين بالضبط ؟

أجابت فى حماس :

ـ هناك دوريات صباحية ومسائية ، تجوب (سيناء) طوال الوقت ، وكل دورية عبارة عن سيارة جيب واحدة ، بها ضابط وثلاثة جنود ، وكثيرًا ما تتوقف الدوريات الليلية فى واحة قريبة ، لتناول بعض الأطعمة والمشروبات .. سنستغل توقف واحدة من تلك الدوريات مساء اليوم ، ونسرق سيارة الدورية .. ما رأيكم ؟

تبادلوا نظرة صامتة ، ثم قال (خالد) بهدوئه الحازم :

ـ لا بأس .

تهلّلت أسارير (راوية) ، فى حين التفت هو إلى رفيقيه ، وقال :

ـ ما رأيكما ؟.. سنحاول الحصول على (جيب) أخرى الليلة .

اكتفى (حسن) بالصمت ، متصوّرًا أنه ليس من حقه مجرّد إبداء الرأى ، فى وجود ضباطين ، أما (عمرو) ، فعقد حاجبيه ، وداعب شاربه الكث لحظة ، قبل أن يقول :

ـ يمكننا أن نحاول على الأقل .

وكان هذا إقرارًا للخطة ..

★ ★ ★

تفجّر بركان من الدهشة والقلق ، فى نفس الملازم (محمد) ، وهو يحدّق فى وجه وزير الدفاع الإسرائيلى ، الذى ظلّ صامتًا ، هادئًا ، يتطلّع إليه بعينه الواحدة الحادة كصقر أعور ..

وقفزت عشرات الأسئلة ، إلى رأس (محمد) ..

هل انكشف أمرهم ؟

هل فشلت العملية ؟..

ولماذا يهتم وزير الدفاع الإسرائيلى نفسه ، بأسر جندى مصرى ؟..

وأين رفاقه الثلاثة ؟..

هل نجحوا فى الفرار ، أم سقطوا أيضًا فى قبضة العدو ؟!..

أما وزير الدفاع الإسرائيلى ، فقد انحنى نحوه ، وسأله فى هدوء شديد ، وبلغة عربية فصحى :

ـ ما اسمك ؟

أجابه (محمد) فى سرعة :

ـ (محمد عبد الله) .. جندى فى القوات الخاصة المصرية .

اعتدل وزير الدفاع ، وبدا مستريحًا للإجابة ، فى حين قال الضابط الآخر :

ـ لا تقلق نفسك بشأن هذا الأسير يا جنرال .. إنك هنا لتهنئة الرجال بقرب عيد الغفران (كيبور) ، فدعك من الأسرى ومشاكلهم ..

ألقى عليه الوزير نظرة صامتة ، ثم قال بالعبرية :

ـ الأمر مريب يا رجل .. لقد انفجرت طائرتنا بعد اصطدام مباشر مع هليوكوبتر مصرية ، لم تكن تحمل جنديًا واحدًا ، باستثناء قائدها .. فما الذى أتى بها إلى هنا .. فى عمق (سيناء) ؟ وأين ذهب من كانت تحملهم ؟

أشار الرجل إلى (محمد) ، وهو يقول :

ـ ها هو ذا أحدهم ، وسنتصيدهم حتمًا ، واحدًا بعد الآخر .. إنها عملية عادية ، من تلك العمليات ، التى يطلق عليها المصريون اسم (حرب الاستنزاف) ، وسنسيطر عليها بسرعة .

هزّ وزير الدفاع رأسه نفيًا ، وقال :

ـ المصريون لم يبلغوا ، فى حرب استنزافهم ، هذا العمق قط ، ثم لماذا عادوا فجأة إلى لعبة الاستنزاف هذه ، بعد أن توقّفوا عنها طويلًا ؟.. كلّا يا رجل .. أخشى أن يكون الأمر أكبر من هذا بكثير .

قال الضابط فى اهتمام :

ـ أتشير إلى مناوراتهم ، واستدعائهم لقوات الاحتياط يا جنرال ؟

صمت وزير الدفاع الإسرائيلى لحظات ، ثم هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلّا .. إنها ليست أوّل مرة يفعلونها هذا العام .. لقد أجروا مناورات حية ، واستدعوا كل الاحتياط مرتين ، خلال هذا العام ، وفى كل مرة كنا نسارع نحن باستدعاء احتياطنا ، ونفسد اقتصادنا ، ونتجشّم ملايين الدولارات دون طائل .

وعلى الرغم من آلامه وجراحه وكدماته ، كاد (محمد) يطلق زفرة ارتياح قوية ، عندما أدرك أن الإسرائيليين يثقون تمامًا فى عدم قدرة المصريين على خوض حرب ، يؤمن هو بأنها على قيد خطوة واحدة الآن ..

ثم استدار إليه وزير الدفاع بغتة ، وقال :

ـ فى أية كتيبة أنت ؟

همّ (محمد) بإجابة السؤال تلقائيًا ، إلا أن عقله أطلق فجأة إنذارًا قويًا ..

لقد نطقها الوزير الإسرائيلى بالعبرية ..

والمفروض أنه يجهل هذه اللغة ..

وبسرعة ، تراجع (محمد) ، وقال :

ـ معذرة .. لست أفهم شيئًا .

ولكن عين الوزير الثاقبة لاحظت ما حدث ..

لاحظت اقدامه ، وتردده ، وتراجعه ، على الرغم من أن كل هذا حدث فى جزء من الثانية ..

وانعقد حاجبا الوزير ، ورمق (محمد) بنظرة نارية ، وهو يقول:

أنت تكذب .

ودون أن ينتظر جوابًا من (محمد) ، التفت إلى الضابط ، وقال فى حزم :

استجوبوه مرة أخرى يا (ليومى) .. انزعوا أظفاره ، ولنر كم يحتمل ، قبل أن يدلى بالحقيقة .

واكتسب صوته صرامة ، وهو يستطرد :

ـ كل الحقيقة .

★ ★ ★

كان الألم شديدًا ، عنيفًا ، قويًّا ، يكفى لانتزاع الأسرار من بين شفتى تمثال من الحجر ، حتى أن (محمد) لم يستطع كتمان صرخته هذه المرة ، وهم ينتزعون إظفر سبّابته اليسرى بلا رحمة ، بآلة تشبه نازعة المسامير البدائية (الكمّاشة) ..

وسالت الدماء من موضع الإظفر المخلوع غزيرة قوية، وعَض (محمد) شفته السفلى فى قوة وقهر ، حتى كاد يدميها ، وهو يكتم رغبة عارمة فى البكاء ، فى حين ارتفع صوت الضابط الإسرائيلى الصارم ، وهو يقول :

ـ اعترف .. من أنت ، وماذا تفعل هنا ؟

ارتجفت الكلمات على شفتيه ، وهو يقول :

ـ صدقنى .. أنا جندى مصرى عادى .. واسمى (محمد عبد الله) .

هوى الضابط على وجهه بصفعة قوية ، وهو يصرخ :

ـ كاذب .. أريد الحقيقة .. الحقيقة .

ثم استدار إلى جندى التعذيب ، وصاح :

ـ انتزع ظفرًا آخر .

انقض عليه الجندى فى شراسة ، وأمسك وُسطاه فى قوة ، وجذب اظفره فى وحشية ، دارت معها عينا (محمد) فى محجريهما ، من شدة الألم ، والضابط يسأله فى قسوة :

ـ أجب .. من أنت ؟.. لماذا أنت هنا ؟.. أين زملاء مهمتك ؟

أطلق (محمد) صرخة مدوية ، وهم ينتزعون ظفرًا آخر ، من يده اليسرى ..

كان جسده نحيلًا ضعيفًا بالفعل ، على الرغم من كل ما احتمله ، حتى أن رأسه تهاوى على صدره ، فتراجع الضابط ، قائلًا فى توتر :

ـ هل مات ؟!..

أسرع الطبيب المراقب إلى (محمد) ، وفحصه فى اهتمام وعناية ، ثم تراجع قائلًا فى لا مبالاة :

ـ لقد انهار فحسب .. يمكنكم مواصلة عملكم .

أمسك جندى التعذيب بنصر (محمد) الأيسر ، وهمّ بنزع ظفره ، عندما هتف (محمد) فجأة :

ـ كلا .. كلا .. أريد مقابلة وزيركم .

صاح به الضابط فى غضب :

ـ وزيرنا ؟!.. من تظن نفسك يا هذا ؟

أسرع ضابط آخر يقول :

ـ أرسله إلى الجنرال مباشرة .. هذه أوامره .

انعقد حاجبا الضابط فى غضب ، وكأنما لم يرق له أن ينتزع منه أحد فريسته ، ولكنه لوّح بيده فى سخط ، وهو يقول :

ـ هيا .. اذهبوا به إليه .

أسرع زبانية الجحيم يحملون (محمد) إلى حجرة قائدهم ، حيث يجلس وزير الدفاع الإسرائيلى ، الذى سأله فى لهجة هادئة ، حاول أن يخفى ما بها من اهتمام ، خلف قناع زائف من اللامبالاة :

ـ ألديك جديد ، أم أنك ستضيع وقتى فحسب ؟

سقط رأس (محمد) على صدره ، وهو يقول فى صوت لاهث :

ـ سأعترف .. سأعترف بكل شىء .. لم أعد أحتمل .. أنا ملازم فى الجيش المصرى .

تبادل الضابط مع وزير الدفاع نظرة ملهوفة ، قبل أن يقول (محمد) فى انهيار :

ـ أعطونى جرعة ماء ، وسأخبركم بكل شىء .. كل شىء .

وأتى الماء بسرعة ..

وتكلّم الملازم (محمد) .

* * *

الفصـل الثـامن

الخميس : ٨ رمضان ١٣٩٣هـ ـ ٤ أكتوبر ١٩٧٣م : السادسة والنصف مساءً .

* * *

اختفى الرجال الثلاثة خلف تبة رملية ، تواجه تلك الواحة الصغيرة فى قلب (سيناء) ، وراحوا يراقبون الإسرائيليين ، الذين شيّدوا إحدى مستعمراتهم حولها ، وأنشئوا فيها مقهى صغير ، ومطعمًا بدائيًا ؛ لخدمة الدوريات، التى تجوب (سيناء) ليلًا ونهارًا ، وألقى (خالد) نظرة على ساعته . وهو يقول فى خفوت :

ـ لو سارت الأمور على النمط نفسه . الذى تسير عليه منذ ساعتين ، فهذا يعنى أننا سنرى (جيب) إسرائيلية بعد قليل .

كانوا يرتدون ثياب البدو ، ويحملون مدافعهم الآلية ، وبدا (حسن) قلقًا ، وهو يقول :

ـ إننا هنا على بعد ثلاثين مترًا ، من النقطة التى يتوقفون عندها ، والمكان منبسط للغاية . فكيف ننجح فى الوصول إليهم ، دون أن يلمحونا ؟

أجابه (عمرو) فى سخرية :

ـ لهذا انتظرنا حلول الليل أيها الذكى .

كان (حسن) يعلم أنه ليس من المفروض أن يناقش ضابطًا ، إلا أنه لم يملك أمر نفسه ، وهو يقول فى حدة :

ـ ونحن نرتدى ثيابًا بيضاء ، تكاد تشعّ ضوءاً ، من شدّة نظافتها .

قال (عمرو) فى غضب .

ـ كيف تتحدّث إلىّ بهذا الأسلوب أيها الجندى ؟

انعقد حاجبا (خالد) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ كفى .. لن ندخل فى مشاجرة سخيفة الآن .

ثم أشار بعيدًا ، وهو يستطرد :

ـ لقد وصلت (الجيب) .

التفتا إلى حيث يشير ، وبدت لهما مصابيح (الجيب) ، وهى تقترب من المستعمرة الصغيرة ، فانحبست أنفاسهم ، وهمس (حسن) فى انفعال :

ـ هل نهاجمها الآن ؟

هزّ (خالد) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلّا .. سننتظر حتى تقف ، ويدخل الضابط والجنود ، لتناول طعامهم .

غمغم (عمرو) فى سخط :

ـ لا يروق لى هذا الأسلوب .

أجابه (خالد) فى حزم :

ـ تذكّر أنها ليست مهمتنا الرئيسية ، بل مهمة فرعية ؛ لاستكمال الاستعدادات ، وليس من الحكمة أن نحوّلها إلى معركة ، قد نخسر فيها فردًا آخر .

أومأ (عمرو) برأسه متفهمًا ، وغمغم :

ـ أنت على حق .

ران عليهم الصمت تمامًا ، حتى تجاوزتهم (الجيب) ، وتوقفت بالفعل أمام بناء صغير ، فى بداية المستعمرة ، وغادرها الضابط وجنديان ، فى حين هبط منها الجندى الثالث ، ليقف بمدفعه أمام (الجيب) ، فغمغم (حسن)

ـ لقد تركوا أحدهم للحراسة .

قال (خالد) فى ضيق :

ـ هذا يزيد الأمر تعقيدًا .

هزّ (حسن) كتفيه ، وقال فى حزم :

ـ ليس إلى هذا الحد .

سأله (خالد) :

ـ كيف يمكنك أن تصل إلى (الجيب) إذن ، عبر ثلاثين مترًا من الرمال المنبسطة ؟

راقب (حسن) الجندى لحظة ، ثم نهض فجأة ، قائلًا :

ـ هكذا ؟

وقبل أن ينتبه (خالد) و (عمرو) لما يقصده ، كان قد اختطف مدفعه ، ووثب خلف التلة الرملية ، وانطلق يعدو بأقصى سرعة نحو السيارة ، والجندى الذى يوليه ظهره ، متطلعًا إلى المطعم الصغير ..

وهتف (عمرو) بصوت خافت متوتر :

ـ ماذا يفعل هذا المجنون ؟

لم ينبس (خالد) ببنت شفة ، وهو يتطلّع إلى المشهد بأنفاس مبهورة ، و (حسن) يعدو نحو الجندى ، و ...

وفجأة ، استدار الجندى إلى (حسن) ، وارتفع حاجباه لحظة فى دهشة ، ثم اختطف مدفعه ..

وكانت المواجهة ..

★ ★ ★

صبّ (جاكوب ليومى) قائد جناح المخابرات فى (سيناء) ، كأسين من الخمر ، قدّم إحداهما إلى وزير الدفاع الإسرائيلى ، الذى رفع كفه ، قائلًا فى هدوء :

- لا يا (ليومى) .. ليس فى أثناء العمل .

أعاد (ليومى) الكأس إلى المنضدة ، وارتشف رشفة من كأسه ، وهو يقول :

- هل تعتقد أنه يقول الحقيقة يا سيدى الجنرال ؟

أومأ الوزير برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم .. لقد كان الشاب منهارًا تمامًا ، واعترف بأنه ضابط مصرى ، وهذا اعتراف بالغ الخطورة ، فثمنه كضابط يختلف كثيرًا عن ثمنه كجندى ، ثم إنه ضعيف البنية ، على نحو واضح ، ومن الطبيعى ألا يحتمل وسائلنا الخاصة .

قال (ليومى) :

- أقصد بالنسبة لباقى القصة .

صمت الوزير الإسرائيلى لحظة ، ثم قال :

- إنها تبدو منطقية إلى حد كبير ، فقد نسف المصريون مخزنًا من مخازن ذخيرتنا بالفعل ، منذ يومين ، وهذا الضابط يقول :

إنه ضمن الفريق ، الذى نفّذ هذه المهمة ، وأنه ضلّ طريقه بعدها ، والهليوكوبتر المصرية ، التى ارتطمت بطائرتنا ، كانت قادمة لاتتشاله .

قال (ليومى) فى ارتياح :

- إذن فهو صادق فى روايته .

رفع الوزير سبّابته أمام وجهه ، وقال :

- ليس بالضرورة .

ثم عاد إلى جلسته الهادئة ، مستطردًا :

- لا يمكنك الثقة بالمصريين .. صحيح أن روايته منطقية ، ولكن خبرتى تؤكّد لى أن هذا الشاب يخفى شيئًا .

ابتسم (ليومى) ، وقال :

- أخالفك الرأى يا جنرال .. المصريون أبسط كثيرًا مما تتصوّر .. بل إنهم بلهاء إلى حد كبير .. تصوّر أنهم نشروا إعلانًا ، فى أكبر صحفهم القومية ، يدعو الضباط إلى تقديم طلبات الحج لهذا العام ، دون أن يدركوا أن مخابراتنا ستفهم من هذا الإعلان ، أنهم ليسوا على استعداد لخوض حرب قريبة .. أرأيت سذاجة تفوق هذا ؟

رد الوزير ابتسامته بأخرى ، وهو يقول فى هدوء :

- إنهم ليسوا بمثل خبرتنا ، فى هذه الأمور .

ونهض مستطردًا :

- وهم لا يتعلمون قط .

سأله (ليومى) ، وقد أدرك نيته للإنصراف :

ـ ماذا سنفعل بالأسير المصرى يا جنرال ؟.. هل نواصل استجوابه ؟

صمت الوزير لحظة ، ثم هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلّا .. يكفى أن نرسله إلى معسكر الأسرى .. لست أحب تعكير صفو الجميع ، حتى ينتهى عيد (كيبور) .

ابتسم (ليومى) ، وقال :

ـ بالمناسبة يا جنرال .. كل عام وأنت بخير .. أشعر أن العيد سيكون رائعًا ومختلفًا هذا العام .

ولم يدرك لحظتها كم كان على حق ..

عيد (كيبور) سيأتى بالفعل مختلفًا هذا العام ..

مختلفًا إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

لم يدر جندى الصاعقة (حسن) ، كيف فعل ما فعل ، فى تلك الليلة ..

لقد رأى الجندى الإسرائيلى يصوّب إليه مدفعه الآلى ، ويهمّ بإطلاق النار عليه ، من مسافة ثلاثة أمتار ، وأدرك أنه ليس من المفروض أن يتردد دوى رصاصات فى المكان ، فى ظل هذه الظروف ..

وهنا عمل عقله بسرعة مدهشة ..

ونفذ جسده الأمر بسرعة أكبر ..

لقد وثب فجأة ، عبر الأمتار الثلاثة ، وهوى على فك الجندى الإسرائيلى بكعب مدفعه ، قبل أن يضغط هذا الأخير زناد مدفعه الآلى ، ويطلق رصاصة واحدة ..

وارتطم الإسرائيلى بالسيارة (الجيب) فى عنف ، ثم سقط أمامها فاقد الوعى ، ومدفعه إلى جواره ..

وفى لحظات ، كان (عمرو) يحتلّ مقعد قيادة (الجيب) ، و (خالد) إلى جواره ، فى حين قفز (حسن) إلى المقعد الخلفى ، وساله (عمرو) ، وهو يعود بالسيارة إلى الخلف :

ـ كيف فعلت هذا ؟

أجابه (حسن) ، وهو يلهث :

ـ لست أدرى .

انطلق (عمرو) بالسيارة ، متفاديًا جسد الجندى الإسرائيلى ، ورأى فى مرآتها الضابط والجنديين ، وهم يهرعون خارج المطعم الصغير ، قبل أن يدور بالسيارة خلف التبة الرملية ، ويطلق لها العنان ، وهو يهتف :

ـ انتهت مشكلة السيّارة يا رفاق .

قال (خالد) بهدوئه المعتاد ، وحزمه الواضح :

ـ بل قل إننا حصلنا على السيّارة ، ولكن مشكلتها لم تنته بعد .

قال (عمرو) مستنكرًا :

ـ أية مشكلة ؟!.. الحصول عليها كان أكبر مشكلة .

أجابه (خالد) :

ـ بل المشكلة الحقيقية هى كيفية الاحتفاظ بها ، وإخفائها ، حتى يحين موعد العملية .

قال (حسن) بسرعة :

- يمكننا أن نخفيها عند منزل (راوية) .

هزّ (خالد) رأسه نفيًا ، وقال :

- إنه أوّل مكان سيتعرّض لتفتيشهم ، إذا ما ربطوا بين (الجيب) ، ووجود (محمد) فى (سيناء) .

قال (عمرو) فى حماس :

- لن يمكنهم هذا أبدًا ، فلقد كنا نرتدى ثياب البدو عندما سرقناها ، وسيؤكّد الجندى الإسرائيلى هذا ، عندما يستعيد وعيه .

قال (خالد) فى حزم :

- لا يمكنك الجزم بهذا ، ولا يمكننى المخاطرة بإفساد العملية ، من أجل خطأ كهذا .

قال (حسن) ببساطته وحماسه :

- فلنسأل (راوية) .. هى سترشدنا حتمًا إلى كيفية إخفائها .. إنها أكثر خبرة منا بطبيعة (سيناء) ، بحكم منشئها .

كانت الفكرة معقولة للغاية ، فقال (عمرو) ، وهو يستدير بالسيارة إلى اليمين :

- هل من اعتراض ؟.. لا يوجد .. إذن الموافقة إجماعية .. سننطلق إلى دار المرحوم (حمدان) .

انطلقت بهم (الجيب) ، تشق رمال الصحراء ، حتى بلغت دار (حمدان) ، وهناك استقبلتهم أم (راوية) فى لهفة ، وهى تسأل :

- هل صادفتكم متاعب ؟

أجابها (حسن) ، فى صوت يحمل رنة زهو واضحة :

- كلّا تقريبًا .. لقد نفذنا العملية بنجاح .

وسألها (عمرو) فى اهتمام :

- هل تعرفين وسيلة لإخفاء (الجيب) هنا ، أو فى مكان آخر ، بحيث يمكننا استعادتها ، عندما تحين اللحظة المناسبة ؟

عقدت المرأة حاجبيها لحظات ، فى تفكير عميق ، ثم أجابت :

- (راوية) وحدها يمكنها إفادتكم ، فى هذا الأمر ؛ فوالدها - رحمه الله - كان يعلّمها كل شىء ، ويعتبرها ذراعه اليمنى ، فنحن لم ننجب ذكورًا كما تعلمون .

سألها (خالد) :

- وأين هى (راوية) ؟

تردّدت المرأة لحظات ، ثم قالت فى ارتباك :

- هناك جندى إسرائيلى ، من جنود السجن الحربى ، كان يعمل لحساب زوجى ، وقد حضر منذ قليل ، وقال إنهم سينقلون الملازم (محمد) ، إلى معسكر الأسرى الشرقى .

هتف (حسن) فى سعادة :

- الملازم (محمد) ؟!.. أهو حى ؟.. حمدًا لله .

أما (خالد) ، فقد سألها فى توتر :

- وما شأن (راوية) بهذا ؟

ارتبكت المرأة أكثر ، وهى تقول :

- إنها مجنونة .. لقد ذهبت لملاقاة سيارة نقل الأسرى ، فى الطريق الذى يربط ما بين السجن الحربى ومعسكر الأسرى ، وقالت إنها ستحاول إنقاذه .

هتف (عمرو) مستنكرًا :

ـ إنقاذ من ؟

وصاح (حسن) فى هلع :

ـ هل ذهبت وحدها ؟

ترقرقت الدموع فى عينى المرأة ، وقالت :

ـ نعم .. وحدها .. ومعها مدفع آلى وقنبلة يدوية واحدة .

اتسعت عيون الجميع فى دهشة وذعر ، وأدركوا أن (راوية) هذه مجنونة ..

مجنونة بحق ..

★ ★ ★

شعر الملازم (محمد) بآلام مبرحة ، فى أنحاء متفرّقة من جسده ، وهو يحاول التشبّث بذلك المقعد الخشبى ، الذى يجلس فوقه ، داخل سيارة كبيرة ، مخصّصة لنقل الأسرى ، فى محاولة لتخفيف أثر الارتجاج العنيف ، الناشئ من انطلاق السيارة بسرعة كبيرة ، فوق رمال (سيناء) ، وتطلّع فى صمت إلى الجنود الإسرائيليين الأربعة ، الذين يصوبون إليه فوهات مدافعهم الآلية فى تحفّز ، كما لو كان مجرمًا بالغ الخطورة ، أو رئيس كتيبة مقاومة فلسطينية ..

كان هناك اثنان يجلسان فى مواجهته ، والآخران على جانبيه ، مما جعله يبتسم فى تهالك ، وهو يلقى نظرة على السيارة (الجيب) ، التى تتبع سيارة نقل الأسرى ، وعلى متنها ثلاثة جنود ، يحملون أيضًا المدافع الآلية ..

وفجأة ، وجد نفسه يطلق ضحكة ..

ضحكة قصيرة ساخرة ، جعلت الجنود الأربعة يتطلّعون إليه فى دهشة ، قبل أن يقول أحدهم بلغة عربية واضحة :

ـ ما الذى يضحكك ؟.. هل يسعدك أن تنتقل إلى معسكر الأسرى ؟

أجابه (محمد) ، وهو يتحسّس أنفه المتورّم :

ـ بل يدهشنى أن يقوم على حراستى سبعة جنود مسلحين ، بخلاف ضابط وسائقين .

قال الجندى فى غرور :

ـ ستكون فرقة إعدامك مكوّنة من العدد نفسه أيها المصرى .

لم تثر كلمة الإعدام أى شىء فى نفسه ، فتطلّع إلى الجندى فى هدوء ، وسأله :

ـ أنت أيضًا مصرى .. أليس كذلك ؟.. لهجتك تشفّ عن أصلك ؟

أجابه الجندى الإسرائيلى فى استعلاء :

ـ كلّا .. أنا إسرائيلى ، شاء سوء حظى أن أولد وأقضى فترة الطفولة ، على أرض (مصر) ، قبل أن تهاجر أسرتى إلى هنا .

سأله (محمد) :

ـ وهل تظن وجودك هنا من حسن الحظ ؟

قبل أن يجيب الجندى ، عقّد جندى آخر حاجبيه ، وقال بالعبرية فى صرامة :

ـ لا تتحدّث مع الأسير بالعربية .. هذا يخالف الأوامر .

ارتبك الجندى الأوّل ، وغمغم :

ـ نعم .. بالتأكيد .

قالها وتراجع بظهره إلى الخلف ..

وفى نفس اللحظة ، دوى الانفجار ..

قنبلة انفجرت فى (الجيب) الإسرائيلية ، وجندلت من فيها فى لحظة واحدة ..

وفى ثورة ، صرخ الجندى ، وهو يرفع مدفعه فى وجه (محمد) :

ـ كمين .. لقد أوقعتنا فى كمين .

ودوت الرصاصات فى المكان كله .

★ ★ ★

الفصل التاسع

الخميس : ٨ رمضان ١٣٩٣ هـ ـ ٤ أكتوبر ١٩٧٣ م :

العاشرة والنصف مساءً .

★ ★ ★

توقفت الدورية الإسرائيلية أمام منزل (حمدان) ، وهبط منها ذلك الملازم الإسرائيلى الضخم الجثة ، وركل باب المنزل بقدمه فى غلظة ، وهو يهتف :

ـ ماذا تخفين هذه المرة أيتها البدوية ؟

انتفضت أم (راوية) وشقيقتها (هادية) ، وهتفت الأخيرة فى حدة :

ـ ما هكذا تقتحم الديار يا رجل ؟

صاح بها فى قسوة :

ـ اخرسى يا فتاة ، وإلا انتزعت لسانك من حلقك ؛ لأعلمك كيف تخاطبين ضابطًا من جيش الدفاع .

ثم استدار إلى أمها ، مستطردًا فى حدة :

ـ أين (الجيب) ؟

قالت مرتجفة :

ـ أية (الجيب) ؟!

استلّ مسدسه فى حركة سريعة ، وألصقه بجبهتها ، وهو يقول :

ـ (الجيب) التى سُرِقَتْ هذا المساء ، من أمام المستعمرة (شلوشة) .. لقد تتبعنا آثارها إلى هنا .

قالت الأم مضطربة :

ـ لست أدرى عم تتحدث .. لقد جاء ثلاثة رجال إلى هنا ، فى سيارة(جيب) ، وتناولوا بعض الماء ، ثم انصرفوا .. وكانوا يرتدون ثيابًا كثيابكم .

صرخ فى وجهها :

ـ تكذبين يا امرأة .

ثم جذب إبرة مسدسه ، وهو يستطرد فى حدة :

ـ أريد الحقيقة ، أو أنسف رأسك برصاص مسدسى .

قالت وقلبها يخفق فى قوة ، مع ملمس الفوهة المعدنية الباردة على جبينها :

ـ هذه هى الحقيقة كلها .

انعقد حاجباه فى غضب هادر ، حتى صار مخيفًا ، وهو يقول :

ـ هكذا ؟!

ثم التفت إلى (هادية) ، وقال بصوت هادر مخيف :

ـ وأنت-؟.. هل ستعترفين بالحقيقة ، أم تحذين حذوها ؟

قالت (هادية) فى تصميم :

ـ ما ذكرته أمى هو الحقيقة ، حتى ولو لم يرق لك .

ازداد انعقاد حاجبيه ، حتى بدا أشبه بشيطان رجيم ، وهو يقول :

ـ فليكن .. لقد حذرتكما .

وارتجف قلباهما ..

ارتجفا فى عنف ..

★ ★ ★

رأى (محمد) فوهة المدفع أمام عينيه مباشرة ، فانحنى بحركة غريزية ، وصمّ دوى الرصاصات أذنيه ، وهى تعبر فوق رأسه ، وامتزج بدوى رصاصات مدفع آلى أخرى ، أتت من فوق التبة القريبة ، وانهالت على كابينة القيادة لسيارة نقل الأسرى ..

وكانت فرصة نادرة ..

فرصة استغلّها (محمد) جيدًا ، فدفع قدمه فى وجه الجندى أمامه ، ثم مال جانبًا ، ليتفادى ضربة الجندى الثانى ، ولكم الثالث بيمناه فى قوة ، ثم اندفع يثب خارج السيّارة ..

وقفز الجنود الأربعة خلفه ، فى اللحظة التى سمع فيها صوتًا يهتف :

ـ (محمد) .. من هنا .

أدهشه الصوت ، فور معرفته لصاحبته ، ولكن أسرع إلى مصدره ، ورصاصات الإسرائيليين تدوى خلفه .

وظهرت (راوية) من خلف التبة ..

ظهرت تمطر الإسرائيليين الأربعة برصاصات مدفعها ، فى نفس الوقت الذى ظهر فيه الضابط الإسرائيلى ، الذى نجا من الهجوم على كابينة القيادة ، وهو يهتف بجنوده :

ـ لا تسمحوا لهم باستعادة الأسير .

منح هذا النداء الجنود الأربعة قوة إضافية ، فألقوا نيرانهم نحو (راوية) فى شراسة ، إلا أن (محمد) نجح فى الوصول إليها ، ووثب يحتمى بالتبة من رصاصاتهم ، وهو يهتف :

ـ أين الرفاق ؟

أجابته فى توتر :

ـ لقد أتيت وحدى .

اتسعت عيناه فى دهشة وذعر ، وهو يهتف :

ـ وحدك ؟

ثم انتزع المدفع الآلى منها ، قائلًا :

ـ فليكن .. لا مجال للتراجع الآن .. اتركى لى هذا .. أنا أجيد استخدامه أكثر .

وهبّ يتبادل مع الإسرائيليين الأربعة النيران ..

ولكن الإسرائيليين كانوا مقاتلين بارعين ..

وأذكياء ..

لقد تحرّكوا فى خمس محاور ، وخططوا لمحاصرة (محمد) و (راوية)، بعد أن أدركوا أنهم يقاتلون فردين لا أكثر، وبسلاح واحد ..

وأدرك (محمد) هدفهم ، فقال :

ـ لابد لنا من الابتعاد بسرعة ، وإلا فسيحاصروننا خلال دقائق .

عضت شفتها السفلى فى مرارة ، وهى تقول :

ـ الابتعاد ليس ممكنًا ، فلو صعدنا التبة الأخرى ، سنصبح هدفًا سهلًا ، فى ضوء القمر ، خاصة وأن الليلة صافية ، والسماء بلا غيوم تقريبًا .

شعر بتوتر شديد مع إجابتها ، التى تعنى أنه ما من فائدة ..

سيكمل الإسرائيليون حصارهم ، حتى يوقعوا بهما ..

ولكن حتى هذه الفكرة ، لم تدفعه إلى الاستسلام ..

لقد برز من خلف التبة مرة أخرى ، وأطلق رصاصاته ..

وفى هذه المرة أصاب أحدهم ..

وسقط الإسرائيلى صريعًا ، ولكن زملاءه واصلوا التفافهم وحصارهم ، فغمغمت (راوية) :

ـ لا فائدة .. لقد حاولت ، وفشلت .

قال (محمد) فى حزم :

ـ لم تنته المعركة بعد .

وفجأة ، ومع آخر حروف عبارته ، ظهرت أضواء سيارة أخرى ، قادمة من بعيد ، فهتف الضابط الإسرائيلى فى ارتياح :

ـ ها هى ذى سيارة الدورية .. ستوقع بهما حتمًا .

ولكن السيارة الأخرى لم تكد تقترب ، حتى وثب منها صقورنا الثلاثة ، وارتفعت فوهات مدافعهم الآلية فى وجه الإسرائيليين ..

وهوت الرصاصات كالمطر ..

وفى هذه المرة ، ومع المفاجأة غير المتوقعة ، حصدت نيران المصريين أرواح الإسرائيليين ، وأرسلتهم إلى غياهب الجحيم . قبل أن يهتف (حسن) فى حرارة :

ـ سيادة الملازم (محمد) .. أين أنت ؟

هتف (محمد) فى سعادة ، عندما ميَّز صوته :

ـ إنهم الرفاق .. حمدًا لله .. لقد التقينا ثانية .

أسرع يعدو إليهم ، من خلف التبة ، وخلفه (راوية) ، وتعانق الصقور الأربعة فى حماس ولهفة وحرارة ، وقال (حسن) فى انفعال جارف ، وغضب واضح :

ـ ماذا فعل بك هؤلاء الحقراء ؟!.. إنك محطَّم تمامًا .

أجابه (محمد) فى سعادة :

ـ ربما حطّموا جسدى ، ولكن معنوياتى مازالت مرتفعة يا رجل .

سأله (خالد) فى اهتمام :

ـ وهل أخبرتهم بشىء ؟

أجابه مبتسمًا :

ـ بالطبع .. احتملت حتى آخر مدى ، ثم أخبرتهم القصة الأخرى ، التى لقنونا إياها فى مركز التدريب . وأضفت إليها أن الهليوكوبتر المصرية ، التى عثروا عليها محطمة ، إلى جوار طائرتهم ، كانت فى طريقها لانتشالى .

بدا الارتياح على وجه (خالد) ، وهو يقول :

ـ عظيم .. كنت أخشى أن ..

لم يتمّ عبارته ، ولكن (حسن) قال فى حماس :

ـ مستحيل !.. سيادة الملازم (محمد) صلب كالفولاذ .

ضحك (عمرو) وقال :

على الرغم من أنه راقص باليه .

حدّقت (راوية) فى وجه (محمد) فى هلع ، وهى تهتف مستنكرة :

ـ راقص باليه ؟!.. أى مزاح هذا ؟

استدار إليها (محمد) ، وقال فى بساطة :

ـ إنه ليس مزاحًا .. أنا بالفعل راقص باليه .

اتسعت عيناها فى ارتياع ، ثم أشاحت بوجهها ، وقالت فى حدة :

ـ فليكن .. هذا شأنهم فى الجيش المصرى .. المهم أنكم نجحتم فى الحصول على (الجيب) كما أرى .

أجابها (عمرو) :

ـ نعم .. ولكننا لسنا ندرى أين نخفيها ، حتى يحين موعد العملية ؟

قال (محمد) فى اهتمام :

ـ بالمناسبة .. لقد استجوبنى وزير الدفاع الإسرائيلى بنفسه .

تفجّرت الكلمة كالقنبلة ، واتسعت عيونهم فى ذهول ، قبل أن يسأله (خالد) ، فى توتر واضح .

ـ ماذا تقول يا رجل ؟.. وزير الدفاع الإسرائيلى هنا .. فى (سيناء) ؟!

أجابه (محمد) :

ـ نعم .. أتى لتهنئة الجنود بعيد (كيبور) ، الذى سيحين بعد يومين ، ثم استغلّ الفرصة لاستجوابى .

قال (عمرو) فى قلق :

ـ أو أنهم يعرفون شيئًا ما عن العملية .

انعقد حاجبا (خالد) ، وقال :

ـ لابد من الاتصال بـ (القاهرة) على الفور .. من الضرورى أن يعرفوا هذا .

قالت (راوية) فى سرعة :

ـ لدينا جهاز إرسال قوى فى المخبأ السرى .. هل يجيد أحدكم استخدامه ؟

أجابها (حسن) بسرعة :

ـ كلنا .. هذا جزء من تدريباتنا .

ثم ارتسم الهلع على وجهه ، وهو يهتف :

ـ سيادة الملازم .. ماذا أصابك ؟!

التفت الجميع إلى حيث ينظر ، ورأوا (محمد) يترنّح فى شدة ، ثم يهوى ، فاندفع (حسن) يلتقطه بين ذراعيه ، وهتفت (راوية) :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابها (خالد) فى إشفاق :

ـ لقد فقد الوعى .. مسكين .. لقد عانى الكثير بحق .

ثم اعتدل قائلًا :

ـ هيا .. سنحمله إلى (الجيب) ، وننطلق على الفور إلى منزلك يا (راوية) .. لابد أن تصل هذه المعلومات إلى (القاهرة) الليلة .

ولم تمض دقائق ، حتى انطلقت (الجيب) فوق رمال (سيناء) ، وراحت تشق طريقها على الأرض المصرية المحتلّة ، حتى بدا منزل (حمدان) من بعيد ، فقالت (راوية) :

ـ فور وصولنا ، سأرشدكم إلى مخبأ جهاز الارسال ، و ...

بترت عبارتها بغتة ، عندما لاحظت تلك الأدخنة ، التى تتصاعد من المنزل ، وهتفت فى جزع :

ـ ماذا حدث ؟

زاد (عمرو) من سرعة السيارة ، حتى بلغ المنزل ، فوثبت منها (راوية) ، واندفعت إلى الداخل ، وهى تصرخ :

ـ أمى .. (هادية) .. أين أنتما ؟!

هتف (خالد) ، فى اللحظة نفسها :

ـ أسرعا .. لاينبغى أن نتركها وحدها ، فى هذه اللحظة .

وغادر مع (عمرو) السيارة ، وأسرعا إليها ، فى حين بقى (حسن) مع (محمد) الفاقد الوعى داخل السيارة ..

وفجأة ، سمع (حسن) صرخة مدوية ، تنطلق من داخل منزل (حمدان) ..

وسرت فى جسده قشعريرة باردة ..

لقد فهم على الفور سر تلك الصرخة الملتاعة ، التى أطلقتها (راوية) ..

وكان يعلم أنها قد شاهدت مشهدا مروّعا ..

مروّعًا بحق .

★ ★ ★

(البقية فى الكتاب القادم)

لو علمتم الغيب

(قصة قصيرة)

انطلق (حسن غنيم) بسيارته . فى ذلك الطريق المظلم ، الذى يربط قريته بالطريق الرئيسى ، وهو يهمهم بكلمات ساخطة غاضبة . ويعقد حاجبيه فى توتر وسخط ..

كان قد خسر منذ قليل ، واحدة من الصفقات ، التى بنى أحلامه وآماله عليها ..

ولم تكن هذه أوّل مرة يخسر فيها صفقة ..

ولا أوّل مرة يغضب على هذا النحو ..

كان بطبعه شخصية ساخطة ، ناقمة ، متوترة ، تكرة كل ما يمكن أن يمسها بأدنى سوء ، حتى ولو كان هذا السوء من وجهة نظرها فحسب ..

وفى حنق ، هتف (حسن) :

ـ لماذا لا أصبح مليونيرًا ؟!.. لماذا لا أصل إلى ما وصل إليه غيرى ؟

لم يكد ينطق عبارته هذه ، حتى أضيئت الدنيا كلها أمامه بغتة ..

فى البداية تصوّر أنها سيارة قادمة ، أو شىء انفجر ، ثم لم يلبث أن انتبه إلى فجوة عجيبة ، تكوّنت فى الهواء ..

وخلفها كان المشهد مذهلًا ..

كان هناك طريق ممهّد ، وآلات طائرة ، وأشياء أخرى مبهرة ، لم يفهم ماهيتها ، وإن أدرك على الفور أنها نتاج تكنولوجيا مذهلة ، لم تبلغها حتى الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ..

وسط كل هذا ، كان هناك رجل ..

رجل يرتدى ثيابًا عجيبة ، ويمسك بيده شيئًا يشبه الجريدة ..

وفى ذعر ، حدّق كل من (حسن) والرجل فى وجه الآخر ، قبل أن يضغط (حسن) فرامل سيّارته ، بكل ما يملك من قوة ، ويتراجع الرجل فى حدة ورعب ..

ثم دوى ما يشبه الانفجار ..

انفجار مكتوم ، تردّد فى أننى (حسن) ، قبل أن تندفع عشرات الأشياء ، لترتطم بمقدمة السيارة ، ثم يهدأ كل شىء ، ويعود الظلام إلى المكان ..

ولثوان ، ظلّ (حسن) داخل سيّارته ، ذاهل العينين ، شاحب الوجه ، ثم لم يلبث أن هتف :

ـ ما هذا بالضبط ؟

استجمع شجاعته ، وغادر السيارة ، وتطلّع أمامه فى توتر ، حيث كانت الفجوة ، ثم التفت إلى مقدمة سيارته وزجاجها ، وقد تناثرت فوقها أشياء شتى ، نصفها بالغ الغرابة بالنسبة إليه ..

ولكن أكثر ما جذب انتباهه تلك الجريدة ..

وفى حذر ، مدّ يده يلتقطها ..

كانت جريدة الأهرام ، ولكنها مطبوعة على شىء يشبه الكاوتشوك ، له ملمس رخو مريح ، وكل الصور والرسوم بها مجسّمة ، مطبوعة بأسلوب عجيب ، حتى لتبدو حية متحرّكة ..

حتى الإعلانات كانت مدهشة ..

وبالذات إعلانات العطور ..

كل إعلان كان يفوح برائحة العطر المعلن عنه ..

وبسرعة ، قلب (حسن) الجريدة ، ليقرأ تاريخ صدورها ..

ثم شهق فى انبهار ..

كان تاريخ صدور الجريدة هو الثالث من نوفمبر ، عام ألفين وثلاثين ..

وهتف (حسن) ، بكل الانفعال فى أعماقه ..

ـ ربّاه !.. لقد خشيت مجرّد التفكير فى هذا ، ولكنها حقيقة .. حقيقة تشبه ما نشاهده فى أفلام الخيال العلمى .. لقد انفتحت فجوة بينى وبين المستقبل .. فجوة قذفت كل هذه الأشياء بين يدىّ ، ثم تلاشت .

كان جسده يرتجف فى انفعال وانبهار ، ولكنه أسرع يجمع كل تلك الأشياء ، التى قذفتها فجوة المستقبل ، وانطلقت إلى منزله فى (القاهرة) ..

وفى حجرته ، راح يلتهم تلك الجريدة التهامًا ..

قرأ كل الأخبار ، والمقالات .. وحتى الإعلانات ..

وتضاعف انبهاره أكثر وأكثر ..

كان يجوب المستقبل ، دون أن يبارح مكانه ..

وبدا له هذا المستقبل مبهرًا ، حتى أنه هتف :

ـ يا للروعة !.. لن يصدّق مخلوق واحد ما حدث لى .. إنها معجزة .

قلب الصفحة الأخيرة للجريدة المستقبلية ، وتطلّع فى اهتمام إلى صورة لشيخ وقور ، بدت له مألوفة إلى حد كبير ، فتساءل عن اسم صاحبها ، و ...

وفجأة ، وثب من مكانه ، وهو يطلق شهقة قوية ..

وأسفل الصورة ، قرأ بحروف مضيئة عبارة تقول :

ـ توفى أمس المليونير المعروف (حسن غنيم) ، وسيقام العزاء فى قصره ، فى (مصر الجديدة) .

إنه هو ..

إنه يقرأ خبر وفاته ..

ارتجف جسده ، وألقى الجريدة جانبًا ، وراح يلهث فى انفعال ..

ليس من السهل أبدًا أن يقرأ المرء خبر وفاته ، حتى ولو كانت هذه الوفاة ستحدث بعد أكثر من خمسة وثلاثين عامًا ..

ثم فجأة . انتبه إلى الأمور الأخرى ..

لقد وصفته الجريدة بأنه مليونير معروف ، يمتلك قصرًا فى (مصر الجديدة) ..

لقد نجح إذن ..

أو سينجح ..

لقد عرف هذا الآن ..

راح يطلق صيحات ظفر وسعادة ، وهو يقرأ الخبر مرات ومرات ، ثم لم يلبث أن ألقى الجريدة جانبًا ، وألقى جسده على فراشه ، وابتسامة واسعة تلتهم وجهه كله .

إنه سيصبح مليونيرًا ..

هكذا يقول المستقبل ..

والأعظم أنه يعرف بالتحديد تاريخ وفاته ..

الثالث من نوفمبر ، عام ألفين وثلاثين ..

إنه أول مخلوق فى العالم ، يعرف تاريخ وفاته بالتحديد .

اعتدل جالسًا ، وقال فى حزم :

ـ لا خوف بعد اليوم إذن .. الموت بعيد عنى تمامًا .. بعيد بأكثر من خمسة وثلاثين عامًا .

وفى اليوم التالى ، بدأ (حسن) صفقاته الناجحة ..

كان واثقًا من النتائج ، بعد ما قرأه فى جريدة المستقبل ..

ولأول مرة ، ربح صفقة كبيرة ..

ثم ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

وطوال خمسة أعوام ، لم يخسر (حسن) صفقة واحدة ، وصار ثريًا ومعروفًا ..

ثم اشترى ذلك القصر فى (مصر الجديدة) ..

اشتراه وأقام فيه مع أشقائه وأمه ..

ومع الجريدة ..

لم يتخلص منها قط ، بل كان يختلى بنفسه فى حجرته أحيانًا ، ويقرؤها فى سعادة ، وكأنما لم يطالعها قط من قبل ..

وامتلأت نفسه بالثقة ..

إنه سيموّت مليونيرًا ومعروفًا ..

وفى موعد محدود ..

وهكذا أصبح (حسن غنيم) شديد الجرأة والشجاعة ..

وذات يوم ، كان يقود سيارته الجديدة ، وإلى جواره خطيبته ، التى شعرت بالخوف من تلك السرعة الفائقة ، التى يقود بها ، فقالت :

ـ (حسن) .. أرجوك .. لا تقد السيّارة هكذا .

أطلق ضحكة عالية ، وهتف :

ـ لا تخافى .. لن نموت الآن .

قالت فى ضراعة :

ـ أرجوك يا (حسن) .

قهقه ضاحكًا مرة أخرى ، وزاد من سرعة السيارة أكثر وأكثر بلا خوف ..

وفجأة ، ظهرت تلك السيارة الضخمة ..

وصرخت خطيبته :

ـ احترس يا (حسن) .

وحاول هو أن يضغط فرامل السيارة ..

ولكن الاصطدام حدث ..

وأظلم كل شىء من حوله ..

لم يدر كم ظلّ فاقد الوعى ، ولكنه استعاد وعيه مع آلام رهيبة ، تسرى فى جسده كله ، فحاول أن يتحرّك ، أو يضع يده على عظامه المتألمة ، ولكنه عجز عن هذا تمامًا ..

ثم سمع صوتًا إلى جواره ، يقول :

ـ خطيبته لقيت مصرعها على الفور ، أما هو فما يزال على قيد الحياة .

كانت الآلام عنيفة ، ولكنه أدرك أن الذى يتحدّث هو طبيبه الخاص . وحاول أن يشرح له آلامه وعذابه ، ولكنه لم يستطع النطق . فى حين سمع صوت شقيقه يقول :

ـ وكيف حاله الآن ؟

بدا له صوت طبيبه مفعمًا بالأسى ، وهو يقول :

ـ إنه أشبه بالموتى ، فهو فى غيبوبة تامة ، لا يستطيع الحركة أو النطق .

سأله شقيقه فى هلع :

ـ وهل تعتقد أنه سيشفى ؟

أجابه الطبيب فى مرارة :

ـ إنه حالة مجهولة ، لم يشف منها شخص قط .. الأرجح أنه سيقضى ما بقى له من العمر . فى هذه الحالة ..

صرخ (حسن) :

ـ ولكننى حى .. أشعر وأسمع .. أنا أسمعكما .

ولكن صرخته هذه لم تتجاوز أعماقه ..
لم يسمعه أحدهما ..
أو حتى يشعر به ..
وتصاعدت الآلام ..
واشتدّ العذاب ..
وهتف (حسن) لنفسه :
ـ ألن ينتهى هذا العذاب أبدا؟.. ربّاه !.. كم أتمنى الموت ، لينتهى العذاب والآلام .
لم يكد يفكّر فى هذا ، حتى انطلقت صرخة فى أعماقه ..
صرخة تموج بالرعب والهلع ..
لا .. لن ينتهى العذاب ..
هو وحده يعلم هذا ..
أمامه ثلاثون عامًا أخرى من العذاب ..
ثلاثون عامًا حتى يموت ..
وانهارت أعماقه فى يأس ..
لقد فقد حتى الأمل ..
الأمل فى أن ينتهى عذابه بالموت ..
وللمرة الثالثة ، تردّدت فى أعماقه صرخة مريرة ..
ليتنى لم أعلم ..
ليتنى لم أعلم ..
وظلّت هذه الصرخة تتردّد ، وتُضاعف العذاب ، طوال ثلاثين عامًا أخرى ..
وبلا توقّف .

★ ★ ★

١ ـ نجم هوى ..

أطلق رئيس العمّال زفرة قوية ، وهو يمسح العرق الغزير ، الذى تصبَّب على جبينه ، وألقى نظرة مرهقة على عمّاله ، الذين انتهوا من عملهم ، وراح كل منهم يغتسل ، ويرتدى ثيابه ، استعدادًا للرحيل ، ثم تطلّع إلى قرص الشمس ، الذى يميل إلى المغيب ، قبل أن يلتفت إلى الدكتور (على) ، ويقول فى تعبٍ واضح :

ـ انتهينا يا دكتور (على) .. ها هو ذا حوض السباحة قد انتهى ، بكل ما طلبته ، من أضواء سفلية ، وتدرّج بطىء فى العمق .. امنحه ليلة واحدة ، أو ليلتين على الأكثر ، ثم يمكنك أن تملأه بالماء .

هتفت (أحلام) ، زوجة الدكتور (على) فى سعادة :

ـ حقًا .. يا لسعادتى .. أخيرًا تحقّق حلمنا يا (على) ، وسيكون لنا حوض سباحة خاص .

ابتسم الدكتور (على) فى رصانة ، وسأل رئيس العمّال :

ـ أأنت واثق من هذا ؟!.. أعنى ألا نصبر قليلًا .. أسبوعًا أو أسبوعين ، حتى تجفّ مواد البناء تمامًا ؟

ابتسم رئيس العمّال فى إرهاق ، وقال :

ـ كلّا .. لا داعى لكل هذا .. مواد البناء الحديثة تجفّ بأسرع مما تتصوّر ، ولقد استخدمنا مادة عازلة قوية .

بدا الارتياح على وجه الدكتور (على) ، وهو يقول :

ـ عظيم .. كم تبقّى لك ؟

تركتهما (أحلام) يناقشان التفاصيل الحسابية ، وراحت تلقى نظرة أخرى على حوض السباحة ، وقلبها يخفق فى سعادة ..

كان هذا حلمها منذ طفولتها ..

أن تمتلك حوض سباحة خاصًا ..

حوضًا يمكنها أن تسبح فيه ، وقتما يحلو لها ، دون أن تراقبها أعين الفضوليين ، أو تفترسها نظرات الراغبين ..

كم تمنت هذا ..

وبتنهيدة تحمل كل سعادتها وارتياحها ، راحت تدير عينيها فيما حولها ..

فى حديقة تلك الفيلا ، التى امتلكتها مع زوجها (على) أخيرًا ، فى (كنج مريوط) ، على بعد عدة كيلومترات من (الإسكندرية) ، مدينتهما ، التى وُلِدَا وعاشا فيها طيلة عمريهما ..

والتقيا فيها أيضًا ..

وغزل الحبّ خيوطه بين قلبيهما .

تنهّدت مرة أخرى ، ثم استدارت إلى حيث يقف (على) ، الذى انتهى من دفع أجر العمّال ، ثم التفت إليها بدوره ، وابتسم برصانته المعهودة ، وهو يقول :

ـ أخيرًا يا حبيبتى .

ردّدت خلفه فى سعادة :

ـ أخيرًا يا (على) .

ابتسم العمّال ، وانصرفوا وهم يلقون عليهما نظرة أخيرة ، وبدأ قرص الشمس يختفى فى الأفق ، فغمغمت (أحلام) :

ـ ما رأيك فى قضاء الليلة هنا ؟

أطلق ضحكة قصيرة ، وقال :

ـ كنت أتمنى هذا ، ولكن التيار الكهربى سيتم توصيله صباح الغد ، ولست أحب أن نقضى ليلتنا فى ظلام دامس .

بدت عليها خيبة الأمل لحظة ، ثم لم تلبث أن تمتمت :

ـ فليكن .. هيا بنا إذن ، فلقد غربت الشمس بالفعل ، وسيصبح المكان مخيفًا بعد نصف ساعة على الأكثر .

ربّت على وجنتها فى حنان ، وتشابكت أصابعهما ، وهما يتجهان إلى سيارتهما الأنيقة ، وأسرع هو يفتح لها باب السيارة الأيمن ، وهو يقول فى رصانة :

ـ تفضّلى يا أميرتى .

ضحكت وهى تدلف إلى السيارة ، قائلة :

ـ يا لك من مغازل يا (على) !.. كيف يمكنك أن تتحدّث بهذه الرصانة ، وأنت تلقى عبارات جميلة كهذه ؟

ابتسم وهو يتجه إلى الجانب الآخر للسيارة ، واتخذ مقعد القيادة ، وهو يقول :

ـ ربما هى طبيعة شخصية .

مالت نحوه ، وداعبت شعره بأناملها ، قائلة :

ـ بالتأكيد .. لماذا وقعت فى حبك إذن ؟

كانت تشعر نحوه بحب جارف ، بعد ثلاث سنوات من الزواج ، على الرغم من أن الله (سبحانه وتعالى) لم ينعم عليهما بالإنجاب قط ، دون سبب واضح ، فقد أكّد الأطباء أن كليهما لا يعانى من أية أمراض أو أسباب ، تعوق عملية الإنجاب ..

هى إرادة الله (عزّ وجلّ) إذن ..

ولقد رضخا لمشيئته فى استسلام ..

ودون منغصات ..

صحيح أن كلًا منهما يشتاق أحيانًا إلى الإنجاب ، ولكن أحدهما لم يصرّح للآخر قط بهذا الشعور ..

كانا مثالًا للحب الحقيقى ..

تنهّدت (أحلام) ، وهى تسترجع هذا ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة حالمة ، عندما أدار (على) محرّك السيّارة ، وسمعته يقول :

ـ ما رأيك فى تناول العشاء فى مطعم فاخر ، احتفالًا بحوض السباحة الجديد ؟

صفّقت بكفيها فى جذل طفولى ، وهى تقول :

ـ هل تسألنى ؟!.. إننى أوافق بالطبع دون تردّد .. من يضيع فرصة لتناول العشاء فى مطعم فاخر ، مع أكثر رجال (الإسكندرية) وسامة ؟!

ضحك قائلًا :

- حذار من إصابتى بالغرور ، فقد يؤدى هذا إلى ..

قاطعته فجأة فى حرارة :

- (على) .. انظر .

أدار عينيه فى حركة تلقائية سريعة ، إلى حيث تشير ، ولمح خيطًا مضيئًا فى وسط السماء ، بدا وكأنه يتجه إلى الأرض ، وسمع (أحلام) تستطرد فى فرح حماسى :

- نجم ذو ذيل .

ضحك مرة أخرى ، وهو يقول :

- إنك تستخدمين نفس المصطلح ، الذى يستخدمه العامة .. إنه مجرَّد نيزك صغير ، يحترق فى الغلاف الجوى للأرض .

ضربت كتفه بأصابعها فى رفق ، وهى تقول :

- بل هو شهاب أيها المثقف ، ولن يطلق عليه اسم نيزل ، إلا لو وصل بالفعل إلى الأرض .

ضحك قائلًا :

- أنت تعرفين إذن .

هزَّت كتفيها فى دلال ، وقالت وهو ينطلق بالسيَّارة :

- نعم .. ولكننى أحب استخدام اللفظ العامى .

ثم ابتسمت فى خبث ، مستطردة :

- وهؤلاء العامة يقولون إنه فأل حسن .

ومالت تطبع قبلة على وجنته ، قبل أن تستطرد :

ـ ما رأيك أنت ؟

مالت عيناه جانبًا ، وهو يبتسم برصانته المعهودة ، التى لم تخف سعادته وحبه ، وذلك الحنان الجارف ، المطلّ من عينيــه ، وهو يقول :

ـ رأيى فى ماذا ؟.. فى الفأل الحسن ، أم فى تلك القبلة ؟!

ضحكت فى سعادة ، قائلة :

ـ فى الفأل الحسن بالطبع .. أنا أعرف رأيك الآخر .

تضاحكا فى مرح ، وهما يبتعدان عن الفيلا ، دون أن ينتبها إلى أن ذلك الشهاب لم يحترق عن آخره ، وإنما تحوّل ، بعد اختراقه للغلاف الجوى ، إلى نيزك صغير مستدير ، هوى نحو فيلتهما مباشرة ..

بل فى قلب حوض السباحة الجديد ..

وبصوت مكتوم ، ارتطم النيزك الصغير بقاع حوض السباحة الفارغ ، ثم تدحرج فوق قاعه المنحدر ، حتى ارتطم بجداره ، فى أعمق بقعة فيه ، حيث يبلغ العمق ثلاثة أمتار ..

ثم فجأة ، حدثت ظاهرة عجيبة ..

ظاهرة لم يشر إليها أى عالم فلكى ، فى التاريخ كله ..

لقد بدأ النيزك الصغير فى الذوبان ..

بل فى السيولة ..

وفى بطء . فقد النيزك قوامه الصلب ، وتحوّل إلى جسم مطاطى شبه سائل ..

ثم تسلّق جدار حوض السباحة ..

أو بمعنى أدق ، انتشر فوقه ..

وفجأة أيضًا اشتعلت كل أضواء الفيلا ..

اشتعلت كلها . قبل أن يصل إليها التيار الكهربى رسميًا ..

ثم هدأ كل شىء ، وانتهى ..

أو بدأ ..

★ ★ ★

٢ ـ الكابوس ..

صفقت (أحلام) بكفيها فى سعادة ، دون أن تحاول إخفاء فرحتها ، والمياه تندفع من مخارج خاصة ، فى أعلى جدران حوض السباح ، لتغمره وتملأه تمامًا ، وهتفت وهى تلتفت إلى زوجها ، الذى بدا هادئًا ، يراقب المياه فى استمتاع :

ـ (على) .. ما رأيك فى تجربة الحوض ؟

ابتسم قائلًا :

ـ إننى أرتدى ثوب السباحةَ بالفعل .

سألته فى تردّد :

ـ هل يمكننى ارتداء ثوب السباحة أيضًا ؟

أجابها ملوّحًا بكفه :

ـ بالطبع .. لماذا صنعنا كل هذا إذن ؟.. لقد اخترنا فيلا نائية ، لا تحيط بها أية فيلات أو منازل ، وزرعنا سورًا من الأشجار ، ثم حفرنا فى منتصفه حوض السباحة ، حتى لا يراك أى مخلوق سواى. وأنت تسبحين ، فلماذا نضيع كل ما فعلناه إذن .. هيًا ؟.. أسرعى بارتداء ثوب السباحة ، وسنختبر حوض سباحتنا الجديد على الفور .

ابتسمت فى فرح ، ومالت تطبع قبلة أخرى على وجنته ، هاتفة :

ـ أحبك .

ثم أسرعت إلى الداخل ، وهو يتابعها ببصره فى حنان ..

كان يعلم كم تعشق السباحة ، بحكم نشأتها فى مدينة ساحلية مثل (الإسكندرية)، ولكن طبيعتها وتقاليدها كانت تمنعها من ارتداء ثوب السباحة على شاطئ عام ..

وفى كل مرة يذهبان فيها إلى الشاطئ، كان يلمح تلك النظرة البائسة فى عينيها ، وهى تتطلع إلى الماء والسابحات ..

ولهذا ابتاع هذه الفيلا ، وحفر فى منتصفها حوض السباحة ..

لم تمض دقائق ، حتى رآها عائدة ، والسعادة تملأ وجهها فى وضوح ، وهتفت به :

ـ هيا .. سأسبقك إلى الجانب الآخر .

قالتها ووثبت إلى الحوض ، قبل حتى أن يمتلئ تمامًا بالماء ، فضحك قائلًا :

إلى هذا الحد ؟!

ثم وثب خلفها ..

كانت تسبح فى مهارة ، حتى أنها سبقته بالفعل إلى الجانب الآخر ، ثم هتفت :

ـ هل تجيد الغوصَ ؟

قال فى حماس :

ـ أنسيت أننى أيضًا من مواليد (الإسكندرية) ؟

تسلقت سلم الحوض واختطفت من فوق المنضدة الصغيرة قطعة معدنية ، وهى تقول :

ـ حسن .. التقط هذه إذن .

وألقت القطعة المعدنية فى وسط الحوض ، ثم وثبت خلفها ..

وغاص الاثنان فى مرح ، والتقطت هى القطعة أولًا ، وصعدت تهتف فى مرح :

ـ ربحت .

قال محتجًا فى مرح :

ـ لقد ألقيتها حيث تريدين .. ألقيها فى منطقة أخرى ، وسنرى من منا يربح هذه المرة .

قالت ضاحكة :

ـ فليكن .. سألقيها فى أعمق منطقة .

وقذفت القطعة المعدنية نحو نهاية الحوض ..

وغاص الاثنان خلفها ..

وفى هذه المرة ، كان (على) هو الأسرع ..

لقد بلغ القطعة المعدنية أولًا ، ومدّ يده ليلتقطها ، و ...

وفجأة ، انتفض جسده فى عنف ، واتسعت عيناه فى ذعر ..

لقد رأى جزءًا من جدار الحوض يتموّج ، ثم ينفصل ، ويتشكل فى سرعة مذهلة ، على هيئة لم ير أبشع منها فى حياته كلها ..

على هيئة فم رهيب ، تبرز منه أنياب حادة مخيفة ..

وتراجع (على) ، وهو يطلق صرخة ..

نعم .. صرخة بدت لزوجته واضحة مسموعة ، على الرغم من وجودهما تحت الماء ..

ومع صرخته ، ابتلع كمية كبيرة من المياه ، وراح يضرب بذراعيه فيما حوله ، محاولًا الابتعاد عن تلك الأنياب الحادة ، و ...

وفجأة ، شعر بشىء يطبق على ذراعه ..

وهوى قلبه بين قدميه ..

وابتلع كمية أخرى من ماء حوض السباحة ..

ثم أظلمت الدنيا حوله ..

أظلمت تمامًا ، و ...

وانتهى كل شىء ..

★ ★ ★

« .. (على) .. (على) هل أنت بخير ؟.. »

تسلّلت تلك العبارة إلى أذنيه فى خفوت ، وراحت تتعالى فى بطء ، ممتزجة بصوت آخر ، يقول :

ـ اطمئنى يا سيِّدتى .. إنه بخير .

فتح عينيه فى بطء ، وهو يتمتم :

ـ (أحلام) .

رأى زوجته تقبل عليه فى لهفة ، وتتحسّس شعره ووجهه ، وهى تقول :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا (على) .. حمدًا لله .

سألها بصوت مضطرب ، متوتر :

ـ ما ذلك الشىء فى القاع ؟.. كيف نجوت ؟

بدا صوتها باكيًا ، وهى تحتضن رأسه ، وتضمه إليها ، هاتفة :

ـ حمدًا لله على سلامتك .

كان جسدها جافًا ، ولكنها كانت ترتدى ثوب السباحة ، أسفل معطف استحمام طويل ، وشعرها مرتبك مبتلّ ، وكان هناك رجل وقور إلى جوارها ، يتطلّع إليه قائلًا :

ـ لقد نجوت بأعجوبة .. كدت تغرق فى قاع الحوض ، وابتلعت كمية كبيرة من الماء ، أساءت كثيرًا إلى رئتيك ، ولكنك ستنجو بإذن الله .

سأله (على) فى توتر :

ـ من أنت ؟

أجابه الرجل بابتسامة باهتة :

ـ أنا الدكتور (محمود إمام) .. ولقد استدعتنى زوجتك هاتفيًا ، من عيادتى الخاصة فى (كنج مريوط) ، فور نجاحها فى إنقاذك من الغرق ، فهرعت إلى هنا على الفور ، وأمكننا إسعافك ، ولكنك ستحتاج إلى علاج لبعض الوقت ، و ...

قاطعه (على) فى صوت ملتاع :

ـ وماذا عن الوحش ؟.. هل قتلتماه ؟

انعقد حاجبا الطبيب ، وتراجع فى دهشة ، وهو يلقى نظرة متسائلة على (أحلام) ، التى بدت عليها دهشة مماثلة ، وهى تسأل زوجها فى اضطراب :

ـ الوحش ؟!.. أى وحش هذا ؟

أجابها فى عصبية :

ـ ذلك الوحش الرهيب .. لقد كاد يفترسنى ، لولا أن ..

قاطعته وهى تربّت عليه ، فى جزع وحنان :

ـ لم يكن هناك وحوش يا (على) .. كل ما فى الأمر أنك كدت تغرق ، و ...

صاح فى حدة :

ـ بل كان هناك وحش .. وحش له أنياب حادة كبيرة .

التفتت (أحلام) إلى الطبيب فى هلع ، فغمغم وهو يخرج قارورة صغيرة من حقيبته الطبية :

ـ يبدو أنك تحتاج إلى بعض الراحة .

هتف (على) :

ـ لماذا لا تصدقانى ؟!.. افحصا الحوض ، وستجدان ذلك الوحش فى أعماقه .

سألته (أحلام) ، فى لهجة أقرب إلى الضراعة :

ـ ومن أين يأتى ذلك الوحش ؟.. ألم نملأ الحوض معًا ، وكان خاليًا تمامًا أمام أعيننا ؟!

بدت الحيرة عليه ، وهو يتمتم :

ـ بلى .. ولكن الوحش ..

كشف الطبيب ذراعه ، وغرس إبرة المحقن فى وريده ، ودفع العقار المهدئ فيه ، وهو يقول :

ـ ستذهب كل الوحوش .. إنه مجرَّد كابوس .

قال (على) فى توتر :

ـ ليس كابوسًا .. لقد رأيته بنفسى .

ربَّتت (أحلام) على كتفه ، وهى تقول :

ـ اهدأ يا (على) .. أرجوك .. اهدأ .

شعر بالتوتر مع لمساتها ، إلا أن صوتها الحنون نجح فى إزالة توتره ، واشترك مع العقار المهدئ فى دفع النوم إلى جفونه ، وهو يتمتم :

ـ ولكن هناك وحشًا .

ثم راح فى نوم عميق ..

وفى جزع ، سألت (أحلام) الطبيب :

ـ ماذا أصابه ؟.. إنه يهذى .. أليس كذلك ؟

أجابها الطبيب ، وهو يجمع أدواته ، ويستعد للانصراف :

ـ بلى .. وهذا أمر طبيعى .. لاتجعلى هذا يقلقك .. فقط أحضرى هذا الدواء ، وليتناوله بانتظام ، ولكن من الضرورى أن نحصل على صورة بأشعة (رونتجن) لصدره ورئتيه .

غمغمت :

ـ بإذن الله ..

راقبت الطبيب وهو ينصرف بسيارته ، ثم تطلَّعت إلى حوض السباحة ، الذى انعكست عليه أضواء الغروب ، فى مشهد بديع ، وعادت لتضع بعض الأغطية على جسد زوجها ، وانحنت تطبع قبلة على جبينه ، وهى تتمتم :

ـ حمدًا لله على سلامتك .. لست أدرى كيف يمكننى العيش دونك .

اعتدلت تتطلَّع إليه لحظات ، ثم اتجهت إلى حوض السباحة ، وأشعلت أضواء الحديقة المحيطة به ، ثم وقفت على حافته ، تتطلَّع فى صمت إلى قاعه ..

ولأوَّل مرة فى حياتها ، بدا لها القاع غامضًا مخيفًا ، وهو غارق فى ظلمته ، حتى أنها أسرعت تضىء مصابيحه السفلية ، التى تنتشر فى جدرانه ، بمحاذاة القاع ، ثم عادت تتطلَّع إلى حوض السباحة ، الذى بدا كبركة من الفضة الشفَّافة ، مع تلك الأضواء ، التى كشفت قاعه تمامًا ..

وعلى الرغم من كل أحلامها السابقة ، ومع نقاء القاع وهدوئه ، كان قلبها يشعر بالكثير من القلق ..

ومن الخوف ..

كل الخوف .

★ ★ ★

٣ ـ اللـــص ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى منتصف الليل ، عندما اقترب اللصان من سور الفيلا الخارجى ، وهمس أحدهما لزميله :

ـ احترس .. فقد يكون صاحبا الفيلا مستيقظين يا (رجب) .

أجابه (رجب) فى استهتار :

ـ ألم تر ذلك الظلام فى الداخل ؟

قال زميله فى توتر :

ـ مصابيح الحديقة مضاءة .

هزّ (رجب) كتفيه فى استهتار ، وقال :

ـ دع عنك هذا الخوف يا (فهيم) .. إنه لا يصلح لمهمتنا .

قالها وتسلق سور الفيلا ، ثم وثب منه إلى الحديقة ، وتبعه (فهيم) فى خفة ، وتسلل الإثنان فى صمت عبر الحديقة ، حتى بلغا حوض السباحة ، وهمس (فهيم) :

ـ لا يوجد أحد هنا .

ابتسم (رجب) فى ثقة ، وقال :

ـ ألم أقل لك .

اقتربا أكثر من الفيلا ، ثم أشار (رجب) إلى الطابق العلوى منها ، وهو يقول :

ـ احترس كثيرًا ، فمن الواضح أن الطابق العلوى لم يكتمل بعد .. ستجدهما فى الطابق الأرضى .. حدّد موقع حجرة نومهما أوّلا ، قبل أن نبدأ عملنا .

دارا حول الفيلا فى حذر ، ثم قال (فهيم) :

ـ من الواضح أن هذه هى حجرة النوم .

غمغم (رجب) :

ـ عظيم .. دعنا نفرغ الباقى إذن ..

تحرّكا نحو المدخل الزجاجى للطابق الأرضى ، عندما خُيّل إليهما أنهما يسمعان حركة عجيبة ، عند حوض السباحة ، فتجمّد (فهيم) فى مكانه ، وقال فى هلع :

ـ ما هذا بالضبط ؟

أجابه (رجب) فى صرامة :

ـ هل سترتجف هكذا ، كلما سمعت حفيف أوراق الأشجار ، أو صوت ضفدعة صغيرة ، تقفز إلى الماء ؟

تطلّع (فهيم) فى خوف إلى حوض السباحة ، وهو يتمتم :

ـ لم يكن هذا صوت ضفدعة ، تقفز إلى الماء .

قال (رجب) فى سخرية :

ـ صوت ماذا إذن ؟.. سمكة قرش .

انتفض جسد (فهيم) فجأة ، وهو يهتف :

ـ انظر .. هناك .

قفز (رجب) يغطى فم زميله بكفه ، وهو يقول فى حدة وخفوت :

ـ ماذا دهاك يا رجل ؟.. ستوقظ النائمين بالداخل .

ارتجف صوت (فهيم) ، وهو يقول :

ـ هناك شىء يتحرّك ، عند حافة الحوض .

استدار (رجب) يتطلّع إلى الحوض لحظة ، ثم قال فى عصبية :

ـ لا يوجد شىء .. لا تجعل الخوف يرسم لك صورًا عجيبة .

قال (فهيم) فى خوف وعناد وإصرار :

ـ ولكننى رأيت شيئًا يتحرك .. أقسم لك .

زفر (رجب) فى ضجر ، وقال :

ـ حسن .. سأثبت لك أنه لا يوجد أى شىء .

ثم اتجه فى حزم إلى حافة الحوض ، واستدار يواجه (فهيم) ، وهو يقلب كفيه ، قائلًا فى سخرية خافتة :

ـ هل رأيت ؟.. كل شىء على ما يرام ، و ...

ولكن فجأة ، تحرَّكت تلك القطعة من حافة الحوض ، التى كان يقف فوقها (رجب) ..

تحرَّكت فى سرعة ، كما لو كانت بساطًا يُسحب من تحت قدميه ..

وفقد (رجب) توازنه ..

لوَّح بذراعيه لحظة فى الهواء ، محاولًا الحفاظ على توازنه ، ولكنه سقط ..

سقط فى حوض السباحة ..

وللحظة ، تجمَّد (فهيم) فى مكانه ، واتسعت عيناه فى هلع ، إلا أنه لم يلبث أن اندفع نحو حوض السباحة ، وهو يهتف بصوت خافت :

ـ (رجب) .. أين أنت ؟!

شعر بالارتياح ، عندما رأى (رجب) يسبح فى الحوض ، وهو يقول فى عصبية :

ـ يبدو أننى فقدت توازنى .. هيا .. لا تقف جامدًا هكذا يا رجل .. مد يدك ، وساعدنى على الصعود من هنا ، قبل أن يستيقظ صاحبا الفيلا ، على صوت سقوطنا فى الماء .

مدّ (فهيم) يده إليه فى سرعة ، وراح (رجب) يسبح نحوه فى صمت ، ثم مدّ يده ليلتقط يد (فهيم) ، و ...

وفجأة ، أطلق (رجب) شهقة قوية ..

أطلقها قبل أن يجذبه شىء ما فىّ عنف ، إلى ما تحت الماء ..

واتسعت عينا (فهيم) فى رعب ..

اتسعتا وهو يهتف :

ـ (رجب) .. أين أنت ؟

وفجأة ، أضيئت الأنوار كلها ..

أنوار الفيلا ، والحديقة ، وتلك الأضواء ، فى قاع حوض السباحة ..

وشهق (فهيم) فى رعب لا مثيل له ..

شهق ، وهو يحدّق فى مشهد رهيب ، رآه يحدث تحت سطح الماء ..

أما (أحلام) ، فقد استيقظت فجأة ، فوق ذلك المقعد ، الذى وضعته إلى جوار فراش زوجها ، عندما أضيئت الأنوار كلها دفعة واحدة ، وهتفت فى هلع :

ـ ماذا حدث ؟!..

فى البداية ، تصوّرت أنها غفت دون أن تدرى ، وانقطع التيار الكهربى بعض الوقت ، ثم عاد بغتة ، إلا أنها لم تلبث أن انتبهت إلى تلك الشهقة فى الحديقة ، فارتجفت وهى تهتف :

ـ (على) .. يوجد شخص فى الحديقة .

لم تكد تنطقها حتى انتفضت كل خلية من خلاياها فى هلع ، مع صرخة الرعب الرهيبة ، التى انطلقت فى الخارج ..

ومع الصرخة ، هبّ (على) جالسًا ، وهو يهتف :

ـ ماذا هناك ؟

كانت (أحلام) تنتفض فى ذعر لا مثيل له ، وهى تهتف :

ـ فى الخارج .. هناك فى الخارج .

لم يكن قد تخلّص من تأثير العقار المهدئ بعد ، ولكنه اندفع نحو النافذة ، وفتحها على مصراعيها ، ثم اتسعت عيناه فى دهشة ، وهو يحدق فى (فهيم) ، الذى انطلق يعدو بكل قوته نحو سور الفيلا ، وهو يطلق صرخات هلع ورعب ..

ثم انتبه إلى حوض السباحة ..

كانت كل أضواء القاع مضاءة ، وتوجد حركة ما على سطحه ..

ومن خلفه ، هتفت (أحلام) :

ـ ماذا يحدث يا (على) ؟!.. ماذا يحدث ؟!

أشار بسبّابته إلى حوض السباحة ، وهمّ بقول شىء ما ، ولكن الكلمات تجمّدت فى حلقه ، ولم تنجح فى تجاوز شفتيه ..

وفجأة ، انطفأت الأضواء كلها ..

وصرخت (أحلام) فى ذعر ، وهى تتعلّق به ، هاتفة :

ـ التيار الكهربى انقطع مرة أخرى .

تطلّع إليها (على) فى دهشة ، على ضوء القمر ، ثم اتجه نحو زر الإضاءة ، وضغطه ، و ...

واشتعلت الأضواء ..

وطوال دقيقة كاملة ، ظلّ كل منهما يحدّق فى وجه الآخر فى هلع ، ثم ألقت (أحلام) بنفسها بين ذراعى زوجها ، وهى تهتف :

ـ ماذا يحدث يا (على) ؟.. ماذا يحدث ؟

لم يجب سؤالها ، ولكنه غمغم فى خفوت ، وهو يضمّها إليه فى قوة :

ـ كل شىء على ما يرام يا حبيبتى .. لقد انتهت المشكلة .. كل شىء على ما يرام .

انكمشت بين ذراعيه ، وهى تنتفض فى قوة ، فى حين تطلّع هو مرة أخرى إلى حوض السباحة ، وقلبه يخفق فى صدره ..

بل يرتعد ..

وبشدة ..

★ ★ ★

من الواضح أن النهار يختلف كثيرًا عن الليل ، فلم تكد الشمس تشرق ، حتى شعر (على) و (أحلام) بالكثير من الراحة ، وخاصة مع وصول سيارة الشرطة ، التى حملت ضابط المباحث (مدحت) ، الذى صافح (على) ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـ ماذا حدث فى الفيلا أمس يا دكتور (على) ؟

أشار إليه الدكتور (على) بالجلوس ، وهو يقول :

ـ محاولة سرقة على الأرجح ، ولكننا لاندرى ماذا حدث بالضبط ؟.. لقد استيقظنا على صرخات رعب ، ورأينا رجلًا يعدو نحو سور الفيلا ، وكانت الأنوار كلها مضاءة ، ثم انطفأت فجأة .

سأله (مدحت) :

ـ أتعنى أن التيار الكهربى قد انقطع ؟

أجابته (أحلام) فى توتر ملحوظ :

ـ بل العكس هو الصحيح .. لقد أضيئت الأنوار وانطفأت ، دون أن يكون لهذا أية صلة بالتيار الكهربى .

انعقد حاجبا (مدحت) ، وهو يتطلّع إليها فى دهشة ، مغمغمًا :

ـ حقًا ؟!

كان من الواضح أنه يعتبر عبارتها حمقاء سخيفة ؛ لذا فقد قالت فى حدة :

ـ نعم .. لقد تصوّرنا فى البداية أن التيار الكهربى قد انقطع ، ولكننا فوجئنا بأن هذا لم يحدث ، بل كانت المصابيح كلها تعمل بكفاءة تامة ، وكشفنا لدهشتنا أن الأنوار أضيئت كلها ، على الرغم من أن مفاتيح الإضاءة كلها كانت تشير إلى وضع الإغلاق .

لم يبد عليه أنه قد استوعب حديثها جيدًا ، فقد بدا هادئًا لا مباليًا ، وهو يقول فى بساطة :

ـ آه .. لقد فهمت .

ثم اعتدل ليسأل الدكتور (على) فى اهتمام :

ـ وهذا الذى رأيتماه يعدو نحو الأسوار .. أكان يعدو إلى الداخل ، أم إلى الخارج ؟

أجابه الدكتور (على) فى دهشة :

ـ إلى الخارج بالطبع .. كيف يمكننا رؤيته ، لو أنه يعدو إلى الداخل ؟

تطلّع (مدحت) إلى سور الأشجار ، الذى يحيط بحوض السباحة ، وقال :

ـ إننى أتساءل فى الواقع ، كيف يمكنكما رؤيته يعدو إلى الخارج ، مع وجود هذه الأشجار ؟

قالت (أحلام) فى عصبية :

ـ لقد كان يعدو نحوها ، وهذا يكفى .

هزّ رأسه فى بطء ، وقال :

ـ آه .. بالطبع .

ثم سأل الدكتور (على) :

ـ وهل سرق شيئًا ؟!

هزّ الدكتور (على) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ مطلقًا .. كل شىء على ما يرام .

بدا الضيق فى عينى (مدحت) ، وفى شفتيه الممطوطتين ، وهو يقول :

ـ لماذا أبلغتما الشرطة إذن ؟!

قالت (أحلام) فى حدة :

ـ وما الذى ينبغى أن يفعله المرء ، عندما يقتحم أحدهم منزله عنوة ؟

أجابها (مدحت) فى هدوء :

ـ يبلغ الشرطة على الفور ، وليس بعد ست ساعات كاملة .

قال (على) متوترًا :

ـ كنا مرتبكين ، ولم نتخذ القرار إلا مع الفجر .

ردّد (مدحت) بنفس البساطة :

ـ آه .. فهمت .

ثم نهض قائلًا :

ـ سنبذل قصارى جهدنا بالطبع ، لضبط ذلك المتسلل ، ولكننى فى الواقع أحب أن أقدّم إليك نصيحة يا دكتور (على) .

سأله (على) فى حيرة :

ـ أية نصيحة ؟!

مال (مدحت) نحوه ، وقال بابتسامة هادئة :

ـ استأجر رجلًا لحراسة الفيلا .

ثم صافحه ، وهو يستطرد :

ـ إلى لقاء أفضل بإذن الله .

واستدار يهمّ بالانصراف ، ثم توقّف لحظة ، والتفت إليهما ، مضيفًا :

ـ واتصل بفنى كهرباء جيد ، لمعالجة ذلك الخلل .

قالها وعاد إلى سيارة الشرطة ، التى غادرت الفيلا على الفور ، فقالت (أحلام) فى حدة :

ـ إنه سخيف .

صمت (على) لحظات ، ثم قال فى خفوت :

ـ ولكنه على حق إلى حد كبير .

قالت فى حدة :

ـ على حق ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. لابد أن نستأجر رجلًا لحراسة الفيلا ، وأن نستدعى أحد الفنيين ، لفحص شبكة الكهرباء بالفيلا .

أرادت أن تعترض ، إلا أنها لاذت بالصمت لحظات ، قبل أن تغمغم :

ـ كما ترى يا حبيبى .

ربّت على كتفها فى حنان ، ثم تثاءب قائلًا :

ـ أعتقد أننى بحاجة إلى الكثير من النوم ، فأنا أقف على قدمىَّ فى صعوبة .

وافقته بإيماءة من رأسها ، وهى تقول :

ـ هيا .. اذهب لتنام ، وسأعدّ لك بعض الحساء الساخن ، عندما تستيقظ .

اتجه إلى حجرة النوم ، فى الطابق الأرضى ، وألقى جسده على الفراش ، وجالت بخاطره لحظات صورة حوض السباحة ، فتنهّد فى عمق ، وأغلق جفنيه ..

ثم استغرق فى نوم عميق ..

أما (أحلام) ، فقد ألقت عليه نظرة حانية ، ثم مدّت أصابعها فى حذر ، وداعبت شعره فى حنان ، وهى تهمس :

ـ نم يا حبيبى .. نم هنيئًا .

تنهّدت بدورها ، وجلست على المقعد المجاور للنافذة ، وتطلعت بضع لحظات إلى حوض السباحة ، وقاومت رغبتها فى السباحة لحظات ، ثم لم تلبث أن غمغمت :

ـ لماذا أقمنا الحوض إذن ؟

نهضت ترتدى ثوب السباحة ، واتجهت إلى الحوض ، ووثبت إلى الماء فى رشاقة ، ثم غاصت فيه ، وعادت تضرب الماء بقدميها ، لتصعد إلى السطح ..

وانعشها الماء البارد ، فنفضت الماء عن شعرها فى استمتاع ، والتقطت نفسًا عميقًا من الهواء على السطح ، وهى تغلق عينيها فى قوة ، ثم فتحتهما ، و ...

واتسعت عيناها فى رعب ..

وارتجف جسدها كله ..

ثم انطلقت من حلقها صرخة ..

صرخة رعب هائلة .

★ ★ ★

٤ ـ الخـــوف ..

عقد النقيب (مدحت) حاجبيه فى شدّة ، وهو يراقب رجاله ، الذين يعملون فى همة ، حول حوض السباحة ، ثم التفت إلى (على) ، الذى بدا شديد التوتر ، وهو يحيط كتف (أحلام) بذراعه ، ويربّت عليه فى حنان ، فى حين أخذت هى ترتجف فى شدّة ، وكأنها تعانى بردًا قارسًا ، وقد ضمّت ركبتيها إلى صدرها ، وانكمشت فوق مقعدها ، فى معطف الاستحمام ، والدموع تترقرق فى عينيها ، وتمنحهما لمعانًا عجيبًا ، جعل النقيب (مدحت) يتجه إليها ، ويقول بصوته الهادئ ، الذى يحمل دائمًا مسحة من البساطة واللامبالاة :

ـ اهدئى يا سيّدتى .. سينتهى كل شىء على ما يرام بإذن الله .

بدت شديدة العصبية ، وهى تقول :

ـ من السهل أن تقول هذا ، ما دمت لم تمرّ بما مررت به أنا .

قال فى هدوء :

ـ أعلم أن المفاجأة كانت عنيفة ، ولكن الأمر ليس خطيرًا إلى هذا الحد .

صاح به الدكتور (على) :

ـ ماذا تقول أيها الضابط ؟!.. ألا تعلم ما واجهته زوجتى ؟

أجابه (مدحت) :

ـ بل أعلم .. لقد روت لى كل شىء .. كانت تسبح ، عندما برزت تلك الجمجمة أمامها فجأة .

غطت (أحلام) وجهها بكفيها ، وراحت تنتحب ، وهى تقول :

ـ كان أمرًا بشعًا فظيعًا .. لقد فوجئت بتلك الجمجمة البشرية أمامى ، ثم تبعتها العظام الأخرى .. شىء فظيع .. فظيع .

وهتف الدكتور (على) :

ـ أريد تفسيرًا لكل هذا .. أى تفسير منطقى .

هزّ (مدحت) كتفيه ، وألقى نظرة أخرى على رجاله ، الذين انهمكوا فى انتشال العظام من حوض السباحة ، وقال :

ـ التفسير واضح وبسيط .. هناك من يحاول إخافتكما ، ودفعكما إلى الفرار من هنا بأى ثمن .

تطلّعت إليه (أحلام) مستنكرة ، فى حين هتف (على) :

ـ وما علاقة هذا بذاك ؟

أجابه (مدحت) فى بساطة :

ـ العلاقة أوضح مما ينبغى يا دكتور (على) .. فى البداية أرسلوا شخصًا يطلق صرخات رهيبة ، وهو يعدو فى الحديقة ، ثم ألقوا بعض العظام البشرية فى حوض السباحة ، و ...

قاطعته (أحلام) فى حدة :

ـ هذه العظام لم تكن هناك ، عندما قفزت إلى الحوض .

ابتسم فى بساطة ، وقال :

ـ تقصدين أنك لم تلمحيها .

قالت فى صلابة وعناد :

ـ بل لم تكن هناك .. الماء رائق وشفّاف للغاية ، والقاع يبدو واضحًا تحت أشعة الشمس ، ولو كانت هناك عظمة واحدة صغيرة ، لرأيتها على الفور .

صمت لحظة ، ثم قال :

ـ ربما ألقاها بعضهم ، بعد هبوطك إلى الحوض .

قالت فى حدة :

ـ مستحيل !

لوّح بسبّابته فى بساطة ، وهو يقول :

ـ لايوجد مستحيل .. أخبرينى أوّلًا : كيف تهبطين إلى الحوض ؟.. هل تقفزين ، أم تهبطين فى درجات السلّم فى هدوء ؟

أجابته فى دهشة :

ـ بل أقفز .. لماذا تسأل ؟

ابتسم وهو يبتعد إلى ركن الفيلا ، قائلًا :

ـ لأننى لو كنت شخصًا غريبًا ، يرغب فى إثارة الذعر والفزع هنا ، وأحمل كمية من العظام البشرية ، لانتظرت حتى تقفزى إلى الماء ، ثم ..

قالها وانطلق يعدو إلى حافة الحوض ، وتظاهر بإلقاء شىء ما فيه ، وهو يستطرد فى حماس :

ـ ثم أنطلق إلى الحوض ، وألقى العظام .

وعاد جريًا إلى الحافة ، واختفى خلفها ، مضيفًا :

ـ وأعود إلى مخبئى ، قبل صعودك إلى السطح ، وكشفك أمر العظام .

بدا لها التفسير منطقيًا إلى حد كبير ، ولكنها قالت فى عناد :

ـ لو أن أحدهم فعل هذا لسمعت وقع قدميه .

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلّا .. إنه ببساطة سيسير حافى القدمين ، أو يرتدى حذاءً رياضيًا من الكاوتشوك ، لايصدر صوتًا .

ران الصمت لحظة ، ثم قال (على) ، وهو يعدّل وضع منظاره الطبى فوق أنفه :

ـ تفسير منطقى .

ثم استدرك فى سرعة :

ـ ولكن من يفعل هذا ؟.. ولماذا ؟

أجابه (مدحت) :

ـ شخص يرغب فى شراء الفيلا مثلًا .

سألته (أحلام) :

ـ مثل من ؟

هزّ كتفيه ، قائلًا :

ـ من يدرى ؟

ساد الصمت مرة أخرى ، وكل منهم يفكّر فى الأمر ، حتى قطع أحد رجال الشرطة حبل الصمت ، وهو يقول :

ـ انتشلنا كل العظام يا سيّدى الضابط .

التفت إليه (مدحت) ، قائلًا :

ـ أأنت واثق ؟

أجابه الشرطى :

ـ يمكنك التأكد بنفسك يا سيّدى .

اتجه (مدحت) إلى حوض السباحة ، وهو يقول فى حزم :

ـ هذا ما سأفعله بالفعل .

وقف على حافة الحوض ، وتطلّع إلى القاع فى اهتمام ؛ ليتأكد من أن رجاله قد أدوا واجبهم على أكمل وجه ..

وفجأة ، انعقد حاجباه فى شدّة ..

لقد خيّل إليه أن قطعة من أرضية الحوض قد انفصلت عنه ، وتحرّكت بضعة سنتيمترات ، ثم التصقت بالجدار ..

ولكنه كذّب عينيه ..

مستحيل أن يحدث هذا ..

مستحيل تمامًا ..

إنه خداع بصرى حتمًا ، بسبب انكسار الضوء ، وتموجات الماء الخفيفة ، و ...

طرح الأمر عن ذهنه ببرعة ، وعاد يلتفت إلى (على) و (أحلام) ، وسأل (علـى) ، فى محاولـة لإبعـاد المشهـد عن تفكيره :

ـ ما الذى يعنيه لقب (دكتور) هذا ؟.. أأنت طبيب ؟

هزّ الدكتور (على) رأسه نفيًا ، وأجاب :

ـ بل يعنى أننى حاصل على درجة الدكتوراه فى تخصصى .

سأله (مدحت) :

ـ أى تخصص ؟

أجابه فى شىء من الفخر :

ـ أنا أحد أساتذة قسم البيولوجيا(*) ، فى كلية العلوم ، بجامعة (الإسكندرية) .

ابتسم (مدحت) وقال :

ـ عظيم .

لم تكن عبارته تعبّر عما يشعر به فى الواقع ، وإنما كانت مجرّد كلمة ، ينهى بها هذا الحديث ، لينتقل إلى نقطة أخرى ، قائلًا :

ـ على أية حال ، سأجرى كل التحريات اللازمة ، حول هذا الأمر ، وسأرسل العظام إلى الطبيب الشرعى مباشرة ، ومازلت أكرّر ضرورة استئجار حارس خاص ، واستدعاء فنى لفحص التوصيلات الكهربية .

أضافت (أحلام) فى توتر :

(*) البيولوجيا : علم الأحياء ، وينقسم إلى علم النبات ، وعلم الحيوان ، ويتضمّن كل من القسمين علوم الخلية ، والأنسجة ، والتشريح ، والمورفولوجيا ، والفسيولوجيا ، وعلم الأجنة ، وعلم البيئة ، وعلم الوراثة والتطوّر ، وعلم الحفريات ، وعلم التصنيف ، وهناك علوم بيولوجية خاصة ، مثل علم الميكروبيولوجيا ، والبيولوجيا البحرية وبيولوجيا الفضاء .

ـ وتفريغ حوض السباحة .

قال (مدحت) مبتسمًا :

ـ هل نجحوا فى إخافتك ؟

قالت فى عصبية :

ـ أتتصوَّر أننى سأسبح مرة أخرى ، فى نفس المياه ، التى سبحت فيها العظام ؟

قال فى هدوء :

ـ كلَّا بالطبع .

ثم شدَّ قامته ، مستطردًا :

ـ إلى اللقاء .. سأبلغكما بالنتائج أوَّلًا فأوَّل بإذن الله .

وانصرف مع رجاله ، الذين يحملون العظام فى حرص واهتمام ، ولم تكد سيارة الشرطة تغادر الفيلا ، حتى غمغم (على) :

ـ أتعلمين .. إنه على حق .. لابد من استئجار حارس للفيلا .

ثم اتجه إلى الهاتف ، وطلب رقم شركة أمن خاصة ، فسألته هى :

ـ هل أقنعك تفسيره ؟

هزَّ كتفيه ، وقال :

ـ إنه منطقى إلى حد كبير .

قالت فى عناد :

ـ ولكنه لا يفسِّر الأضواء ، التى اشتعلت بلا مبرِّر .

رفع رأسه ، قائلًا :

ـ هذا يعنى ضرورة استدعاء فنى لفحصها .

ثم التفت فى اهتمام إلى الهاتف ، وقال :

ـ شركة الأمن الوطنية .. صباح الخير .. أريد التعاقد معكم لحراسة فيلتى ، فى (كنج مريوط) .

تركته يتحدَّث إلى المسئولين فى شركة الأمن ، وتطلَّعت فى قلق إلى حوض الاستحمام ..

وفجأة ، كشفت أن هذا الحوض لم يعد حلم حياتها كما كان ..

لقد أصبحت تخشاه ..

تخشاه كثيرًا ..

★ ★ ★

« إنه أمر عجيب بالفعل !!.. » .

اعتدل النقيب (مدحت) فى اهتمام ، عندما سمع الطبيب الشرعى ينطق هذه العبارة ، والتفت إليه يسأله :

ـ ما العجيب فى الأمر ؟

لوَّح الطبيب الشرعى بيده ، وهو يقول :

ـ إنه هيكل عظمى كامل ، لاتنقصه عظمة واحدة .. حتى العظيمات الصغيرة .. كلها موجودة .

أجابه (مدحت) :

ـ بالتأكيد ، فالشخص الذى يريد إثارة فزع الدكتور (على) وزوجته ، لابد أن يستعين بهيكل عظمى كامل .

هزَّ الطبيب الشرعى كتفيه ، وقال :

ـ يمكنه أن يكتفى ببعض العظام ، فالجمجمة وحدها يمكن أن تُحدث الأثر المنشود .

ابتسم (مدحت) ابتسامـــة باهتـــة ، خلت من أى انفعـــال ، وهو يقول :

ـ ربما هو شخص يميل إلى الإتقان .

مطّ الطبيب الشرعى شفتيه ، وقال وهو يلتقط الجمجمـــة لفحصها :

ـ من النادر أن نرى فى (مصر) مجرمًا من هذا الطراز .

فحص الجمجمة بنظرة سريعة ، قبل أن يعتدل ، ويقول فى آليه :

ـ إنها جمجمة رجل ، فى أواخر الثلاثينات .

سأله (مدحت) :

ـ كيف تعرف هذا ؟

أشار الطبيب الشرعى إلى الفك ، وقال :

ـ من الأسنان ، وبعض العلامات الأخرى فى عظام الجمجمة ، وفى معظم أو كل العظام الأخرى تقريبًا .. هذه مثلًا عظمة الذراع ، ولو نظرت جيدًا إلى ..

بتر الرجل عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه ، وهو يحدّق فى العظمة ، فى مزيج من الدهشة والاهتمام ، مما جعل (مدحت) يعتدل فى لهفة ، ويسأله :

ـ ماذا ترى ؟

ظلّ الرجل صامتًا لحظة ، وهو يتطلّع إلى عظمة الذراع ، قبل أن يشير إلى أعلاها ، قائلًا :

ـ هذه الثقوب .

ألقى (مدحت) نظرة على الثقوب العديدة ، التى بدت واضحة على قمة العظمة ، فى نقطة التمفصل ، وقال :

ـ أليست طبيعية ؟

أجابه الطبيب الشرعى فى حزم :

ـ مطلقًا .

ثم التقط عدسة مكبّرة ضخمة ، من الرف المجاور له ، وأزال الغبار عنها بأصابعه ، وأخذ يفحص بها تلك الثقوب ، قبل أن يتابع فى حيرة :

ـ إنها منتظمة أكثر مما ينبغى ، وحوافها ذائبة ، أو محفورة بدقة مدهشة .

هتف (مدحت) :

ـ هذا يثبت نظريتى .. هذه العظام تخص أحد طلاب كلية الطب .

هز الطبيب الشرعى رأسه نفيا ، وقال وهو يواصل فحص العظمة ، فى اهتمام يفوق الحد :

ـ كلا .. لا يمكن لأى شخص عادى أن يحدث مثل هذه الثقوب .

بدت الحيرة على وجه (مدحت) ، وهو يسأل :

ـ ما الذى أحدثها إذن ؟

التقى حاجبا الطبيب الشرعى فى شدة ، وبدا وكأنه لم يسمعه ، وهو يقول :

ـ عجبا !.. هل من الممكن أن ...

فوجئ به (مدحت) يهب فجأة من مقعده ، وهو يحمل العظمة ، ثم يلتقط مطرقة ثقيلة ، ويضع العظمة على منضدة التشريح الرخامية ، فسأله فى قلق :

ـ ماذا حدث ؟

أجابه الطبيب الشرعى ، وهو يرفع المطرقة فى حزم :

ـ هذه العظام أخف مما ينبغى .

سأله (مدحت) :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟

ولم يجب الرجل ..

لقد هوى بالمطرقة على العظمة ، وهشم قمتها فى عنف ، ثم حملها فى لهفة ، وفحص داخلها ، قبل أن يهتف :

ـ هذا ما توقعته تماما .

سأله (مدحت) ، وقد التهمه الفضول تماما :

ـ ماذا هناك ؟

قال الطبيب الشرعى ، فى حماس عجيب :

ـ أمر لم أره فى حياتى كلها من قبل ، ولم يسجله أى مرجع طبى معروف .

وقلب العظمة ، ليرى (مدحت) داخلها فى وضوح .

وهو يستطرد :

ـ هذه العظام خالية ، من أى أثر لنخاعها الداخلى .. خالية تماما .

وكانت مفاجأة لـ (مدحت) ..

مفاجأة مذهلة .

★ ★ ★

٥ ـ فكـــرة ..

على الرغم من كل الجهد الذى بذلته (أحلام) ، وكل محاولاتها للسيطرة على أعصابها ، إلا أنها بدت متوترة للغاية ، وهى تراقب فنى الكهرباء ، الذى انتهى من فحص كل أسلاك الفيلا ، قبل أن يهزّ رأسه ، قائلًا :

ـ لا يوجد أى شىء .. كل الأمور على خير ما يرام .

سأله (على) فى دهشة :

ـ أأنت واثق من هذا ؟.. كيف أضيئت الأنوار وانطفأت وحدها إذن ؟

هزّ الرجل رأسه مرة أخرى فى حيرة ، وقال :

ـ لست أدرى .. لقد فحصت كل شىء ، ولا يوجد خلل واحد .

ولم تدر (أحلام) لماذا سرت فى جسدها هذه القشعريرة ، عندما سمعته ينطق ما نطقه ..

لقد كانت تتوقع هذا ..

لم تشك لحظة واحدة فى أن كل شىء يعمل بكفاءة تامة ..

فيما عدا حوض السباحة ..

كان هناك شىء ما فى ذلك الحوض ..

شىء مجهـول ، يبـعث فى جسدهـا قشعريـرة عجيبـة ،

كلما تطلّعت إلى الحوض ، الذى ظلّت تحلم به طيلة عمرها ..

ولكنها لم تخبر (على) بما تشعر به ..

تركته يقود فنى الكهرباء إلى خارج الفيلا ، ثم يعود إليها ، قائلًا :

ـ عجبًا !.. لم أكن أتوقع هذا قط .

شعرت بالتوتر لعبارته ، وقالت فى محاولة لإبعاد الأمر عن ذهنها :

ـ متى يصل الحارس الخاص ؟

أجابها وهو يلقى نظرة على ساعته :

ـ المفروض أن يصل بين لحظة وأخرى .

هُزت رأسها متفهمة ، قبل أن تسأله :

ـ هل أفرغت حوض السباحة ؟

ربّت على كتفها ، وهو يقول :

ـ نعم .. هل تريدين رؤيته ؟

لم تكن ترغب ـ فى الواقع ـ فى هذا الأمر ، ولكنها قرّرت التغلّب على ذلك الخوف المبهم ، الذى تشعر به تجاه حوض السباحة ، فنهضت من مقعدها ، قائلة :

ـ نعم .. دعنا نره .

تأبّطت ذراعه ، واتجها فى خطوات بطيئة نحو حوض السباحة ، وهو يقول بابتسامة زائفة ، حاول بها إعادة الطمأنينة إلى نفسها :

ـ لم أكن أعلم أن حوض السباحة يستغرق كل هذا الوقت لإفراغه .

غمغمت :

ـ إنه يحتاج إلى ضعفه ليمتلئ .

بدأت ساقاها فى الارتجاف ، عندما اقتربا من الحوض ، ولكنها قاومت هذا الشعور ، وواصلت سيرها ، حتى أصبحا على حافة الحوض ، الذى بدا أكثر عمقًا وهو فارغ ، وقال (على) ، وهو يشير إلى قاعه :

ـ هل رأيت ؟.. كل شىء على ما يرام .

كان القاع يبدو بالفعل منتظمًا نظيفًا ، ولكن شيئًا ما فى أعماقها جعلها تشعر بالرهبة ، وهى تتطلّع إليه ، فرفعت عينيها ، قائلة :

ـ عظيم .

أتت كلمتها مرتجفة ، على الرغم منها ، فتطلّع إليها فى إشفاق ، ثم ربّت على كتفيها فى حنان ، وغمغم :

ـ اطمئنى يا (أحلام) .. أنا إلى جوارك ، وسينتهى كل شىء على خير ما يرام بإذن الله ، ولن ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدّة ، وهو يحدق فى الركن البعيد العميق ، من حوض السباحة ..

كان ذلك الركن ينبض ..

صحيح أنها كانت نبضات خافتة ، ولكنه لمحها فى وضوح ..

وفى توتر ، سألته (أحلام) :

ـ ماذا هناك ؟

كادت تدير رأسها إلى حيث ينظر ، ولكنه أسرع يرسم على شفتيه

ابتسامة باهتة شاحبة ، ويعدّل من وضع منظاره فوق أنفه ، وهو يقول :

ـ لاشىء .. أشعر ببعض الإرهاق فحسب .

غمغمت مشفقة :

ـ إنه تأثير العقار المهدئ .. إنك لم تحصل على قدر كاف من النوم ، منذ حقنك به الدكتور (محمد إمام) .

سعل مداريًا انفعاله ، وهو يقول :

ـ كما أننى لم أتناول ذلك الدواء ، الذى وصفه لرنتى .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى سمع الاثنان بوق سيارة ، من مدخل الفيلا ، فأدارا عيونهما نحوه ، ورأيا سيارة تدلف إلى الحديقة ، وهى تحمل على جانبها شعار شركة الأمن الوطنية ، فقال (على) فى ارتياح :

ـ لقد وصل حارسنا الخاص .

تنهّدت هى مغمغمة :

ـ أخيرًا .

واتجها معًا لاستقبال سيارة الشركة ، وقدم إليهما سائقها شابًا نحيل الجسد ، يرتدى ثياب الشركة ، الشبيهة بزى رجال الشرطة ، مع اختلاف لونها ، وهو يقول :

ـ (أحمد) هو الحارس الخاص ، الذى اختارته الشركة ، ليعمل على حراسة الفيلا ليلًا ، وفى الصباح سيأتى (طاهر) ، الحارس النهارى ، وسيعمل كل منهما اثنتى عشرة ساعة ، من الثامنة إلى الثامنة .

صافحهما (على) ، وهو يقول :

ـ عظيم .. هل تحمل سلاحًا يا (أحمد) ؟

أومأ الشاب برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. إنه مسدس مرخص ، تمنحه الشركة لرجالها عادة .

ثم ألقى نظرة سريعة على حوض السباحة من بعيد ، وسأل :

ـ هل تعانيان من بعض الفضوليين ، الذين يتسللون إلى حوض السباحة ؟

أجابه الدكتور (على) :

ـ يمكنك أن تقول هذا ، ومهمتك هى منع كل أسباب التوتر والخوف هنا .

ارتسمت على شفتى (أحمد) ابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

ـ اطمئن يا سيدى .. اطمئنى يا سيدتى .. ما دمت هنا ، فستكون ليلة هادئة بإذن الله .

رمقته (أحلام) بنظرة جانبية ، دون أى تعليق ، ولكنها فى أعماقها كانت تعتقد أنه مخطئ ..

مخطئ تمامًا ..

★ ★ ★

بدت لهفة شديدة على وجه (مدحت) ، وهو يسأل الطبيب الشرعى ، الذى يدير العظمة بين يديه فى انبهار :

ـ لماذا يبدو لك هذا الأمر عجيبًا ؟.. أليس من الممكن أن تخلو العظام القديمة من النخاع ؟

هزَّ الطبيب الشرعى رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلا .. الأمر على العكس تمامًا ، فالعظام لا تخلو من النخاع

أبدًا ، حتى أنك لو فحصت المومياوات المصرية القديمة ، لوجدت فى عظامها كمية لا بأس بها ، من نخاع العظام ، تستطيع معه معرفة فصيلة دم صاحب المومياء ، بعد خمسين قرنًا من موته .

ثم رفع العظمة بيده ، مستطردًا فى حماس :

ـ أما هذه العظام ، فهى تخلو من أى أثر للنخاع .

بدت الحيرة على وجه (مدحت) ، وقال :

ـ إنها عظام قديمة ، من المحتمل أن أحدهم أفرغها من النخاع ، أو ...

قاطعه الطبيب الشرعى :

ـ دعنى أصحح لك معلوماتك أولًا ، فهذه العظام ليست قديمة كما تتصوَّر ، بل هى عظام حديثة ، لم يمض يوم واحد ، على انتزاعها من جسد حى ، فهى كما تراها بيضاء ناصعة متماسكة ، لم يتغيَّر لونها ، أو تصاب بالبلى ، ولكن العجيب فيها هو أنها خالية تمامًا من أى أثر للعضلات أو الشحوم ، أو حتى الأربطة ، كما لو أنك أغرقتها فى سائل خاص ، أذاب كل ما علق بها ، وتسلَّل عبر تلك الثقوب الدقيقة المنتظمة ، ليذيب نخاعها تمامًا ، ويتركها هكذا ، نظيفة خالية .

قال (مدحت) :

ـ ربما هذا هو ما حدث بالفعل .. لقد أذاب بعضهم ما علق بالعظام ، فى نوع من الحامض مثلًا ، أو ...

قاطعه الطبيب الشرعى مرة أخرى فى حسم :

ـ مستحيل !

ثم عاد يشير إلى العظام ، وهو يقول مبهورًا :

ـ إننا أمام ظاهرة جديدة وعجيبة أيها النقيب .. ظاهرة ربما حملت فى مراجع الطب الشرعى اسمى .

وتهلّلت أساريره ، وهو يستطرد فى حماس :

ـ هل تدرك ما يعنيه هذا ؟.. سأصبح واحدًا من مشاهير الطب الشرعى .

نهض (مدحت) ، وهو يقول :

ـ كلّا يا سيّدى .. لست أدرك هذا .. كل ما أدركه ، بحكم عملى وانتمالى ، وهو أن فيلا الدكتور (على) تواجه خطرًا مجهولًا .

وشدّ قامته ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ ورهيبًا ..

★ ★ ★

« فيم شرودك ؟.. » .

ألقت (أحلام) السؤال على زوجها فى صوت خافت ولهجة حنون . وهى تضع يدها فى رفق على كتفه ، فى محاولة لانتزاعه من شروده الطويل ، وهو يتطلّع إلى حوض السباحة ، عبر الباب الزجاجى الكبير لحجرة المعيشة بالفيلا ، والذى يطلّ على الحديقة ، فأدار الدكتور (على) عينيه إليها فى بطء ، وتطلّع إليها لحظات أخرى فى شرود ، وكأنه لا يراها ، ثم رسم على وجهه ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ أهلًا يا (أحلام) .. كيف حالك الآن ؟

جذبت مقعدًا ، وجلست إلى جواره ، وهى تقول مشفقة :

ـ كيف حالك أنت ؟.. إنك لم تتحرّك منذ أكثر من ساعة ، ولم تكف عن التطلّع إلى الحوض .. ما الذى يقلقك ؟

صمت لحظات ، وهو يتطلّع إليها بعينين مترددتين ، من خلف منظاره الطبى ، ثم سألها بغتة :

ـ (أحلام) .. كنت تحلمين منذ صباك بحوض السباحة الخاص هذا . فهل تعرفين شيئًا عن أحلامى أنا ؟

وضعت يدها على كتفه ، وهمست :

ـ بالطبع .. إنك تحلم بتحقيق شهرة واسعة ، فى علم البيولوجيا .

غاص فى مقعده ، وهو يسألها :

ـ وكيف يتحقّق هذا ؟

هزّت كتفيها ، وأجابت :

ـ بكشف جديد ، أو نظرية جديدة .. أو أى شىء يضيف جديدًا إلى علم البيولوجيا .

ثم داعبت شعره فى حنان ، مستطردة فى همس :

ـ ولكن لماذا داعبك حلمك الآن ؟

اعتدل بغتة ، على نحو أدهشها وأربكها ، وقال فى صوت عميق ولهجة حاسمة :

ـ لأننى على وشك تحقيقه .

هتفت فى دهشة حقيقية :

ـ ماذا تعنى ؟!

عدّل وضع منظاره فى انفعال ، وهو يقول :

هل تذكرين دراستك فى كلية العلوم يا (أحلام) ؟.. فى قسم البيولوجيا بالذات ؟

همست فى شىء من الدلال :

ـ بالطبع .. كنت طالبة نصف فاشلة ، وكنت أنت الأستاذ النابه ، الذى أراد معاونة تلميذته على النجاح ، فإذا به يتزوّجها ، و ...

قاطعها بسرعة ونهفة :

ـ لا .. ليس هذا ما أقصده ، بل أقصد ما تعلمته هناك ، عن فصائل ورتب المخلوقات الحية ، عن الأنواع الجديدة من الكائنات ، التى يتمّ كشف وجودها كل يوم وكل ساعة .. كلها ـ كما تعلمين ـ مجرّد تحورات بينية ، أو كيميائية ، لبعض الكائنات الموجودة بالفعل ، ومن النادر للغاية أن يتوصّل عالم بيولوجى إلى كشف وجود كائن فريد ، لا مثيل له .. أليس كذلك ؟

غمغمت فى حيرة :

ـ هذا صحيح .

تألّقت عيناه من خلف منظاره ، وهو يقول :

ـ أنا سأصبح بإذن الله واحدًا من العلماء ، الذين كشفوا وجود كائن جديد ، لا مثيل له بين كائنات الأرض كلها .

انعقد حاجباها فى شدّة ، وهى تتطلّع إليه فى مزيج عجيب من الدهشة والقلق ، قبل أن تسأله فى توتر :

ـ ماذا هناك بالضبط يا (على) ؟

تنهّد فى عمق ، وعاد يسترخى على مقعده ، وهو يقول :

ـ لم أحسم الأمر بعد ، ولكننى أعتقد أننا بصدد كشف علمى بيولوجى بالغ الأهمية ، وبالغ الخطورة .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة حالمة ، وهو يستطرد :

ـ كشف قد يمنحنى جائزة (نوبل) فى العلوم(*) .

كان يتفجّر حماسًا ، حتى أنها لم تشأ تحطيم سعادته ، فى ظل هذه الظروف ، فانحنت تطبع قبلة باردة على أذنه ، وهى تهمس :

ـ هذا عظيم يا حبيبى .. عظيم جدًا .

اتسعت ابتسامته مع عبارتها ، واسترخى فى مقعده منتشيًا ، وراح يتطلّع فى هيام شديد إلى حوض السباحة ، مما أثار دهشتها وحيرتها ..

ماذا هناك ؟

ما الذى يجذبه إلى الحوض بهذا الاهتمام ؟..

جالت بخاطرها عدة أفكار جنونية ، إلا أنها طرحتها جانبًا فى سرعة ، ونهضت قائلة :

(*) (ألفريد برنارد نوبل) : (١٨٣٣ ـ ١٨٩٦م) : كيميائى ومخترع سويدى ، اخترع الديناميت عام ١٨٦٦م ، وترك عند وفاته وصية ، بمنح جوائز مالية من ثروته بصفة سنوية ، لأحسن عمل فى العلوم والآداب والسلام ، وتُمنح جوائز (نوبل) للأفضل ، دون اعتبار للجنسية أو الدين ، ويختار الفائزين مجلس خاص ، مقره (ستوكهولم) ، ولقد قُدّمت جائزة (نوبل) لأوّل مرة عام ١٩٠١م .

ـ أعتقد أن موعد النوم قد حان .

نهض معها فى هدوء ، وألقى نظرة أخيرة على حوض السباحة ، ثم ربَت على ظهرها ، قائلًا :

ـ اذهبى أنت للنوم يا حبيبتى ، أما أنا ، فسأقضى بعض الوقت فى المكتبة .. أريد مراجعة بعض مراجعى .

أدهشها موقفه هذا ، وهو الذى يقدّس مواعيده دائمًا ، ولكنها لم تشأ معارضته ، بل سألته فى استسلام :

ـ هل أعدّ لك قدحًا من الشاى ؟

ابتسم فى سعادة عجيبة ، وهو يقول :

ـ كلّا يا حبيبتى .. اذهبى أنت للنوم ، وسأقرأ أنا بعض الوقت ، ثم ألحق بك .

افترقا فى حجرة المعيشة ، وأغلقت هى الباب الزجاجى الكبير ، المطلّ على الحديقة ، ثم اتجهت إلى حجرة نومها فى صمت ، فى حين دلف هو إلى حجرة مكتبه ، وأغلق بابها خلفه والتقط أحد مراجعه العديدة ، وراح يقرؤه فى نهم كامل ..

وفى الخارج ، تطلّع (أحمد) فى هدوء إلى الفيلا ، وهو يسير فى حديقتها ، متفقدًا السور ، وابتسم وهو يتمتم :

ـ من الواضح أنهما زوجان جديدان ، فى شهر العسل .. يبدو أننى محظوظ بهذا العمل ، ففرصة حدوث المتاعب تكاد تكون معدومه .

سار الهوينى عبر الحديقة ، وتفقّد المكان فى عناية واهتمام ، ثم اتجه إلى حوض السباحة ، الذى تحيط به الأشجار القصيرة ، وأعمدة الإنارة الأنيقة ، وتنهّد قائلًا :

ـ هناك من حقّقوا كل ما يحلم به المرء ، فى هذه الدنيا .

دس كفيه فى جيبى سرواله ، ووقف على حافة الحوض الفارغ ، يتطلّع إليه مبتسمًا ، وهو يحلم بامتلاك مثله يومًا ..

وفجأة انتبه إلى تلك الحركة ..

حركة سريعة ، بدأت وانتهت فى ثانية واحدة ، فى جزء من أرضية الحوض ..

وعقد (أحمد) حاجبيه فى دهشة ، وأخرج يديه من جيبى سرواله ، وتحسّس بهما جراب مسدسه فى حركة غريزية ، وهو يغمغم فى توتر :

ـ ما هذا ؟.. أهو مجرّد خداع بصرى ، أم أن تلك الأرضية قد تحرّكت بالفعل ؟!

وقف جامدًا ، يتطلّع إلى البقعة نفسها ..

كان كل شىء يبدو عاديًا ، هادئًا ، صامتًا ..

فيما عدا أمرًا واحدًا ..

كان ضوء المصابيح المحيطة بالحوض ينعكس على قاعه الفارغ فى كل مكان ..

إلا بقعة واحدة ..

نفس البقعة التى رآها تتحرّك منذ قليل ..

صحيح أنها تشبه تمامًا أرضية الحوض ، ولكن الضوء لا ينعكس فوقها قط ..

ثم بغتة ، بدأت تلك البقعة تتحرّك ..

وشهق (أحمد) ..

ومع شهقته توقفت تلك البقعة ، وعادت جامدة ثابتة ، كما لو كانت قطعة من أرضية حوض السباحة ..

وتمتم (أحمد) فى توتر بالغ :

ـ مستحيل !.. هذا مستحيل !

تحسّس مسدسه مرة أخرى ، وألقى نظرة على الفيلا ، ولمح ضوء حجرة المكتب المضاء ، وراودته لحظة فكرة إبلاغ الدكتور (على) بما يحدث ، إلا أنه سرعان ما لفظ الفكرة ؛ لأنها قد تزعزع صورته ، وموقعه كحارس لأمن الفيلا ..

وقرّر أن يفحص الأمر بنفسه ..

وفى حذر ، تعلّق بسلم الحوض ، وهبط إلى بداية القاع ، فى الجزء الأقل عمقًا من الحوض ، ووقف لحظة يتطلّع إلى تلك البقعة ، التى لا تختلف قط عن القاع ، ثم أمسك مسدسه فى جرابه ، واتجه إليها فى خطوات بطيئة متوجسة ..

ولكن تلك البقعة ظلّت جامدة ساكنة ..

واقترب (أحمد) أكثر وأكثر ، حتى صار قيد سنتيمترات منها ..

وهنا فقط بدت له واضحة ..

لم تكن بالفعل قطعة من أرضية الحوض ، وإنما كانت جسما هلاميًا كبيرًا ، شبه مستدير ، يبلغ نصف قطره الأكبر مترًا كاملًا على الأقل ، وهو يرتفع سنتيمترين عن قاع الحوض ، وينتشر فوقه متخذًا نفس لونه وهيئته ..

وفى حيرة ، تمتم (أحمد) :

ـ ما هذا بالضبط ؟

استجمع شجاعته ، وتحسَّس ذلك الجسم بقدمه ، فبدا له رخوًا إلى حد ما ، أشبه بقطعة من المطاط الساكن ، فالتقط نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ يا لهؤلاء الأغنياء !!.. أراهن أنها مجرَّدُ لعبة ، أو سدَّادة للحوض ..

إنهم ينفقون أموالهم فى نزوات سخيفة بلا هدف أو معنى .

ركل الجسم بقدمه مرة ثانية ، ثم شعر بالاطمئنان ، وتراخت أصابعه حول مقبض مسدسه ، واستدار لينصرف ..

وفجأة ، عكس الضوء القادم من خلفه ظلًا مخيفًا إلى جواره ..

ظلّ جسم ينهض من أرضية الحمام ، وينتصب قائمًا خلفه ..

وبسرعة وذعر ، استلّ (أحمد) مسدسه ، واستدار يواجه ذلك الشىء ..

ثم اتسعت عيناه فى رعب ..

رعب هائل ..

وبكل الخوف والرعب والذعر فى أعماقه ، أطلق (أحمد) رصاصات مسدسه نحو ذلك الشىء الرهيب ، وهو يصرخ :

ـ لا .. لا .. اتركنى .

ثم قفز المسدس من يده فى عنف ، وارتطم بأرضية الحوض فى رنين مزعج ، تردَّد صداه عبر جدران الحوض الفارغ ، وانطلقت صرخة أخرى من (أحمد) :

ـ لا .. ابتعد .. ابتعد ..

وبعدها توقَّف صوته تمامًا ، وتألقت كل الأضواء ..

تألَّقت بشدَّة .

★ ★ ★

٦ ـ الجائزة ..

لا أحد يمكنه أن يصف ذلك الرعب ، الذى تفجّر فى جسد (أحلام) ، عندما سمعت تلك الصرخات ، التى أطلقها (أحمد) ، والتى امتزجت بدوى رصاصاته ..

لقد سرت فى جسدها كله قشعريرة هائلة ، كادت من فرط عنفها تنتزع قلبها من صدرها انتزاعا ..

ثم أصابها ما يشبه الشلل ..

لقد تجمّدت فى فراشها ، كما لو أن ساقيها قد عجزتا عن حملها ، حتى سمعت صوت المسدس ، وهو يرتطم بالحوض ..

عندئذ فقط قفزت من فراشها صارخة ، وراحت تهتف باسم زوجها :

ـ (على) .. (على) .. أين أنت ؟!

أما (على) ، فقد انتفض جسده كله مع الصرخة الأولى ، وانطلق يعدو إلى الخارج مع الثانية ، وسمع صوت ارتطام المسدس بقاع الحوض ، وهو يتجاوز الباب الزجاجى الكبير لحجرة المعيشة ، فجرى بكل قوته نحو حوض السباحة ..

ولكن فجأة ، وقبل أن يبلغه ، انطفأت كل الأضواء دفعة واحدة ..

وسمع صرخة أخرى ..

كانت الصرخة هذه المرة من حجرة (أحلام) ، التى اندفعت نحو النافذة ، وفتحتها صارخة :

ـ (على) .. أين أنت ؟

هتف بها ، وهو يلوّح بذراعيه :

ـ أنا هنا .. اطمئنى .

صاحت منهارة :

ـ وأين الحارس ؟.. أين هو ؟

تلفت حوله فى توتر ، وهو يجيب :

ـ لست أدرى .. ربّما ..

لم يتمّ عبارته ، ولكنها فهمت على الفور ما يعنيه ، وصاحت فى هلع :

ـ أهو الذى ؟!.. رباه !.. أهو يا (على) ..؟

لم يجب (على) ، وإنما سار بخطوات واسعة سريعة نحو حوض السباحة ، وانحنى يتطلّع داخله ..

كان كل شىء هادئًا ساكنًا ، فيما عدا المسدس الملقى فى منتصف الحوض ..

وفى لهفة وانفعال ، أدار (على) عينيه فى قاع الحوض وجدرانه ..

ثم توقّف بصره بغتة ..

توقّف عند تلك البقعة ، التى بدت منتفخة أكثر من اللازم ، وملتصقة بالجدار المقابل له تمامًا من الحوض ..

وتألّقت عيناه فى شدّة ..

لقد كان على حق ..

نظريته كلها كانت صحيحة ، على الرغم من غرابتها ..

ومن خلفه ، صرخت (أحلام) مرة أخرى :

ـ أهو الحارس يا (على) ؟

استدار إليها ، وأجاب بلهجة خالية من أية انفعالات :

ـ نعم .. هو يا (أحلام) .

أطلقت صرخة ذعر ، واختفت من النافذة ، فى حين بدا هو متوترًا مُلفعلًا ، وهو يلتفت بسرعة إلى تلك البقعة المنتفخة ، والتى بدت وكأنها تتموَّج فى بطء ، وتتفلطح تدريجيًا ، لتنتحل مرة اخرى لون وهيئة جدار الحوض ..

وراقب هو تلك الحركة فى شغف عجيب ، حتى شعر بـ (أحلام) خلفه ، وهى تهتف :

ـ إنه أمر رهيب مخيف . الشرطة وحدها يمكنها أن ..

استدار إليها فى حركة سريعة للغاية ، وأمسك ذراعيها فى قوة ، وهو يهتف فى انفعال عجيب للغاية :

ـ لا .. لا يا (أحلام) .. لاشأن للشرطة بما يحدث هنا .

حدَّقت فى وجهه بدهشة بالغة ، وشعرت لأوَّل مرة فى حياتها بالخوف منه ، وهى تقول :

ـ ماذا تقول يا (على) ؟.. من إذن صاحب الشأن ؟

قال فى حدة :

ـ نحن وحدنا أصحاب الشأن .

تملَّصت من ذراعيه ، وهى تهتف :

ـ كيف هذا ؟.. أين الحارس ؟.. ماذا أصابه ؟

عدَّل منظاره فى عصبية ، وأجابها :

ـ لقد اختفى .. ربما أخافه شىء ما ، أو هرب ، أو ...

قاطعته مرتجفة فى هلع :

ـ بل مات يا (على) .. لقى مصرعه .. أليس كذلك ؟

بدا عليه التوتر ، وهو يغمغم :

ـ لا يوجد دليل على هذا .

صاحت فى وجهه ، لأوَّل مرة منذ زواجهما :

ـ ولكنك تعرف أنه مات .. أنت تعلم شيئًا ، وترفض إخبارى به .. أليس كذلك ؟.. أليس كذلك يا (على) ؟

أمسك ذراعيها مرة أخرى ، وتطلَّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

ـ اهدئى يا (أحلام) .. اهدئى .. الأمر ليس بالخطورة التى تتصورينها .

تملَّصت منه مرة أخرى ، وتراجعت فى عنف ، هاتفة :

ـ أريد أن أغادر هذه الفيلا الملعونة .. أريد أن أعود إلى (الاسكندرية) .

حاول أن يقترب منها ، وهو يقول :

ـ كيف يا حبيبتى .. إنه حلم حياتنا .. أنسيت ؟!.. الفيلا وحوض السباحة الخاص .. ألم نحلم بهما منذ زواجنا ؟!

صرخت :

ـ لم أعد أحلم بشىء .. أريد العودة إلى (الإسكندرية) .. إلى شقتنا القديمة .

اقترب منها أكثر ، واحتواها بين ذراعيه فى حنان ، وهو يقول :

ـ ولكن هنا حلمنا يا (أحلام) .. هنا تحقق حلمك ، وهنا سيتحقق حلمى .. صدقينى يا حبيبتى .. من هنا سأصبح عالمًا بيولوجيًا شهيرًا .. فقط اهدئى ، ولا تقحمى الشرطة فى حياتنا .

بكت فى مرارة ، وهى تقول :

ـ سبق السيف العذل يا (على) .. لقد أبلغت الشرطة بالفعل .

ولم تكد تتم عبارتها ، حتى تناهى إلى مسامعه صوت بوق سيارة الشرطة ، التى تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

★ ★ ★

انحنى (مدحت) فى بطء ، يلتقط المسدس ، الملقى فى منتصف قاع الحوض ، فى حرص شديد ، ثم ألقاه داخل كيس من النايلون ، وتطلع إليه فى حيرة ، قبل أن يهز رأسه ، ويتسلق سلم الحوض إلى الخارج ، وسأل الدكتور (على) :

ـ ما الذى حدث بالضبط ؟

اختلس الدكتور (على) نظرة على جدار الحوض المقابل ، قبل أن يجيب :

ـ ذهبت زوجتى للنوم ، وقضيت أنا بعض الوقت فى حجرة مكتبى ، لمطالعة بعض المراجع العلمية ، ثم سمعنا صراخ الحارس ، ودوى صوت رصاصات مسدس ، فهرعت أنا إلى هنا على الفور ، ورأيت المسدس ملقى فى منتصف الحوض ، ولا يوجد أى شىء آخر .

التفت (مدحت) إلى (أحلام) ، وسألها :

ـ هل يمكنك إضافة أى شىء يا سيدتى ؟

هزت رأسها نفيًا فى البداية ، ثم استدركت فى سرعة :

ـ نعم .. هناك شىء بالغ الأهمية .

انعقد حاجبا (على) فى توتر ، قبل أن تضيف هى فى سرعة :

ـ لقد اشتعلت الأضواء كلها مرة أخرى بلا مبرر .

تراخى حاجبا الدكتور (على) فى ارتياح ، ولكن (مدحت) انتبه إلى هذا ، دون أن يبدى اهتمامًا حقيقيًا ، وقال :

ـ ومتى حدث هذا ؟

أجابته (أحلام) :

ـ بعد الصرخة الثانية مباشرة .

بدت علامات التفكير على وجه (مدحت) لحظات ، قبل أن يقول :

ـ هذا يؤيد نظريتى إلى حد ما ، فالشخص الذى يسعى لإفزاعكما يلجأ إلى تلك الحيلة ؛ لجذب انتباهكما بعيدًا ، حتى يمكنه الفرار ، أو يخفى ما يفعله .

همت (أحلام) بالاعتراض ، ولكن (على) قال فى سرعة :

ـ بالطبع .. هذا تفسير منطقى تمامًا .

لم يرق لها أسلوبه هذا ، فعقدت حاجبيها ، وأشاحت بوجهها فى حنق ..

ولاحظ (مدحت) هذا أيضًا ..

ولكنه ـ وللمرة الثانية ـ أخفى اهتمامه بالأمر ، وقال فى هدوء :

ـ حسن .. سنفحص المسدس ، ونبحث عن ذلك الحارس ، فربما دفعه الفزع إلى الفرار .

استدار لينصرف ، عندما توقف بغتة ، وتطلع إلى قاع حوض السباحة ، قائلًا :

ـ ما هذا ؟

هوى قلب الدكتور (على) بين قدميه ، وهو يقول :

ـ ماذا .. ماذا هناك ؟

أشار (مدحت) إلى القاع ، قائلًا :

ـ هذا .. أليس بعض بقع الدم ؟

شعر الدكتور (على) بالارتياح ، عندما أشار (مدحت) إلى نقطة أخرى ، تبعد عن جدار حوض السباحة المقابل ، ثم لم يلبث ارتياحه هذا أن تحوّل إلى اهتمام شديد ، وهو ينظر إلى البقع ، التى يشير إليها (مدحت) ، قبل أن يقول :

ـ أعتقد هذا .

ثم أسرع إلى السلم ، وهبط إلى قاع حوض السباحة ، وانحنى يفحص البقع فى اهتمام بالغ ، ولحق به (مدحت) ، وهو يسأله :

ـ أهى بقع من الدم البشرى ؟

أجابه الدكتور (على) ، فى صوت يحمل نبرة عجيبة ، أدهشت (مدحت) :

ـ كلا .. إنها ليست دماءً بشرية .

كان صوته يحمل من البهجة أكثر مما يحمل من الهدوء ، فتطلّع إليه (مدحت) فى حيرة ، ثم مدّ سبّابته ، يحاول لمس البقع ، وهو يقول :

ـ ما هى إذن ؟

أمسك الدكتور (على) يده بحركة سريعة عنيفة ، جعلت (مدحت) يلتفت إليه فى دهشة شديدة واستنكار غاضب ، ولكن الدكتور (على) أسرع يخرج منديله ، ويرسم على شفتيه ابتسامة ، وهو يقول :

ـ لا داعى لتلويث يدك .

ومسح بمنديله بقعة كاملة من تلك البقع ، وهو يقول :

ـ انظر .. إنه بعض الطلاء .

تطلّع (مدحت) إلى البقعة ، التى لوّثت منديل الدكتور (على) ، بلون أخضر فسفورى ، ثم تلفّت حوله فى هدوء ، وقال :

ـ عجبًا !!.. لا يوجد حولنا شىء واحد ، له هذا اللون ، فمن أين أتى الطلاء ؟

قال الدكتور (على) ، وهو يعيد المنديل إلى جيبه ، ويطويه فى حرص :

ـ ربما هو إهمال من عمال البناء .

قال (مدحت) فى هدوء :

ـ ربما .

ثم أخرج من جيبه كيسًا صغيرًا من النايلون ، وهو يستطرد :

ـ الطبيب الشرعى وحده يمكنه حسم هذ الأمر .

بدا التوتر على وجه الدكتور (على) ، عند ذكر الطبيب الشرعى ، ولكنه كتم هذا فى أعماقه ، وقال وهو يراقب (مدحت) ، الذى استخدم مديته لكشط البقع ، ووضعها فى الكيس :

ـ بالطبع .

حمل (مدحت) عينة البقع ، وغادر الحوض الفارغ مع الدكتور (على) ، وقال وهو يصافحه فى هدوء :

ـ سنبذل قصارى جهدنا هذه المرة .. اطمئنا .

ولم يكد يغادر الفيلا ، حتى هتفت (أحلام) فى عصبية :

ـ لست أفهم أبدًا ما تفعله يا (على) .

أشار إليها بالصمت ، وهو يقول :

ـ اصمتى يا حبيبتى .. إننى أحمى فرصة العمر .

هتفت فى حدة :

ـ أية فرصة عمر هذه ؟!

تألقت عيناه فى لهفة ، وهو يقول :

ـ الكشف .. الكشف الذى سيقفز بى إلى القمة .

امتلأت نفسها بدهشة عارمة ، وهى تتطلع إليه ، قبل أن تقول فى جزع :

ـ ماذا أصابك يا (على) ؟!.. عن أى كشف تتحدث ؟!

برقت عيناه أكثر وأكثر ، وهو يقول :

ـ سترين .

ثم اتجه إلى صندوق الإضاءة، وأضاء كل المصابيح،الموازية لقاع حوض السباحة ، وأمسك يد (أحلام) ، وقادها إلى حافة الحوض ، ثم أشار إلى الجدار المقابل ، قائلًا فى انفعال شديد :

ـ ها هو ذا .

تطلّعت إلى حيث يريد ، ثم انعقد حاجباها فى شدّة ، واتسعت عيناها عن آخرهما ..

لقد رأته ، لأوّل مرة ..

رأت ذلك الشىء ..

★ ★ ★

غادر (مدحت) فيلا الدكتور (على) ، وهو أشد توترًا ، مما كان وهو فى طريقه إليها ..

لقد لاحظ الكثير هذه المرة ..

لاحظ أن الدكتور (على) وزوجته يخفيان أمرًا ما ..

أمرًا مريبًا ..

وراح عقله يلقى عليه عشرات الأسئلة ..

ما الذى يخفيانه ؟!..

ما السر الذى سبّب توتر علاقتهما ، بعد ما لمسه من تقاربهما وحبهما بالأمس فقط ؟!..

ولماذا حاول الدكتور (على) منعه من لمس تلك البقع ؟!..

لم يستطع إيجاد أجوبة شافية لتساؤلاته ، وشعر بتوتر شديد فى أعماقه ، فقال لسائق سيارة الشرطة فى حزم :

ـ اذهب بنا إلى منزل الدكتور (حسن) .

قال السائق فى دهشة :

ـ الطبيب الشرعى ؟!

أجابه (مدحت) فى حدة :

ـ نعم .. الطبيب الشرعى .. هل تعرف طبيبًا آخر ، يُعرف باسم الدكتور (حسن) ؟

أدرك السائق توتره ، ولكنه قال فى تردّد :

ـ إنها الثانية والربع صباحًا يا سيادة النقيب ، و ...

قاطعه (مدحت) فى حدة :

ـ أطع الأوامر أيها الجندى .

اعتدل السائق فى حركة سريعة ، وقال :

ـ كما تأمر يا سيّدى .

حاول (مدحت) أن يسترخى مرة أخرى فى مقعده ، إلا أنه عجز عن هذا تمامًا ، وراح يفرك كفيه فى عصبية ، ثم لم يلبث أن قال فى توتر :

ـ إنهما يخفيان شيئًا .

قال السائق فى حيرة :

ـ ماذا يا سيّدى ؟

أجابه (مدحت) ، فى خشونة لم يعتدها السائق منه قط :

ـ ليس هذا من شأنك .

لزم السائق الصمت تمامًا ، حتى بلغ منزل الدكتور (حسن) ، فقفز (مدحت) من السيارة ، وصعد فى درجات السلم عدوًا ، حتى بلغ شقة الدكتور (حسن) ، وضغط زر الجرس طويلًا ، ثم وقف ينقل قدميه فى توتر ، حتى سمع صوت زوجة الطبيب الشرعى من الداخل ، وهى تقول فى خوف وقلق :

ـ من الطارق ؟

أجابها بسرعة :

ـ اطمئنى يا سيدتى .. أنا النقيب (مدحت) .. أريد الدكتور (حسن) لأمر هام .

مضت لحظات من الصمت ، ثم فتح الدكتور (حسن) الباب ، وهو يرتدى معطفه المنزلى ، وقال فى حدة :

ـ (مدحت) .. هل تعرف كم الساعة الآن ؟!

أجابه (مدحت) :

ـ نعم .. أعرف كم الساعة الآن ، ولكن الأمر الذى أتيت من أجله عاجل وهام .

قال الدكتور (حسن) فى عصبية :

ـ لا توجد قضية عاجلة إلى هذا الحد .

قال (مدحت) ، وهو يميل نحوه قليلًا :

ـ إنها ليست قضية ، ولكنه ذلك الكشف ، الذى تتوقع أن يسجل اسمك فى مراجع الطب الشرعى .. لقد عثرت على المادة العجيبة .

بدا الاهتمام على وجه الدكتور (حسن) ، وهو يهتف :

ـ حقًا ؟!

ثم تراجع بسرعة ، ليفسح الطريق أمام (مدحت) ، وهو يستطرد فى لهفة :

ـ تفضل يا (مدحت) .. تفضل حتى أرتدى ثيابى ، ونذهب معًا إلى معملى .

ابتسم (مدحت) فى ارتياح ، واعتدل وهو يقول :

ـ ارتد ثيابك على مهل يا دكتور (حسن) ، وسأنتظرك فى سيارة الشرطة أمام البناية .

وعندما هبط فى درجات السلم ، كان يشعر أنه يقترب من الحقيقة إلى حد ما ، وكان من الواضح أن الدكتور (حسن) أشد لهفة منه لمعرفة الحقيقة ، فقد لحق به بعد دقائق معدودة ، وجلس إلى جواره فى سيارة الشرطة ، التى انطلقت مباشرة إلى معامل الطب الشرعى ، والدكتور (حسن) يسأله فى لهفة :

ـ أين هى ؟!.. أين تلك المادة ؟!

التقط (مدحت) الكيس الصغير من جيبه فى حرص ، وهو يقول :

ـ ها هى ذى .

ولكنه لم يكد يخرج الكيس من جيبه ، حتى اتسعت عيون الجميع فى ذهول ..

(مدحت) ، والدكتور (حسن) .. وحتى السائق ..

لقد كانت الظاهرة التى أمامهم مذهلة ..

مذهلة بحق .

★ ★ ★

٧ ـ كل الغموض ..

تراجعت (أحلام) فى ذعر وفزع ، وهى تحدق فى ذلك الشىء ، الذى التصق بجدار حوض السباحة ، وراح ينبض فى بطء ، وقد بدا أشبه بقبة رأسية ، لها انبعاج واضح ، على الرغم من أنها تتخذ نفس لون وهيئة جدار الحوض ..

وهتفت (أحلام)

ـ ما هذا ؟.. ما هذا الشىء ؟

أجابها (على) فى انفعال ، وهو يحتضنها فى قوة :

ـ هذا الشىء هو مستقبلنا يا (أحلام) .. الكشف الذى سيقفز باسمى إلى القمة .. الكائن الذى لم يتوصل إليه عالم من قبل .

ارتجفت وهى تسأله :

ـ ومن أين أتى ؟!

هزّ رأسه فى بطء ، قائلًا :

ـ لست أدرى .. ولكنه معجزة فى عالم الأحياء البيولوجية .. إنه كما ترين ، كائن حى ، يمتلك قدرة مدهشة ، على التشكل فى هيئة أى جسم يلتصق به ، ويمكنه أن يطلق طاقة هائلة عند اللزوم ، تكفى لإضاءة أنوار الفيلا كلها ، دون تيار كهربى ، عندما ينفعل ، أو يتناول طعامه .

انتفض جسمها فى هلع ، وحدّقت فى ذلك الشىء فى ذعر ، وهى تقول :

ـ إذن فهذا هو ..

ارتجفت الكلمات على شفتيها ، فعجزت عن إتمام عبارتها ، فى حين هتف هو فى حماس :

ـ هذا هو فألنا الحسن .. نجاحنا يا (أحلام) .

هتفت مستنكرة :

ـ نجاحنا ؟!

ثم دفعته عنها ، مستطردة فى حدة وعصبية :

ـ أى نجاح وأى فأل حسن يا (على) .. هذا الشىء قاتل .. قاتل وآكل للحوم البشر ، ولابد من تدميره .

أجابها محاولًا تهدئتها :

ـ وكذلك الأسود والنمور والتماسيح يا حبيبتى .. كلها قاتلة ، وآكلة للحوم البشر .. ولكن أحدًا لم يطالب بإعدامها وتدميرها .. إنه مجرد كائن جديد يا (أحلام) .. كائن أتى من مكان مجهول .. ربما من الفضاء ، أو من عماق الأرض ، ولكنه كائن جديد ، وفرصة نادرة لدراسته ومراقبته ، ثم إعلان وجوده ، وتحقيق ذروة النجاح ، وقمة الشهرة .. إنه أول كائن حى ، لا ينتمى إلى أية فصيلة معروفة يا (أحلام) .. ألا تدركين عظمة هذا الكشف ؟

بكت وهى تقول :

ـ كل ما أدركه هو أن هذا الشىء التهم شابًا بريئًا بلا ذنب جناه .

احتواها بين ذراعيه ، وهو يقول :

ـ هذا الشاب كان يمكن أن يلقى مصرعه بأية وسيلة أخرى .. بحادث سيارة مثلًا .. وهذه ليست مسئوليتنا .. إننا لم نكن نملك إنقاذه أو حمايته .. وكل ما لدينا الآن هو أن نجيد استغلال الفرصة ، ونحقق كسبًا ضخمًا من هذا الكشف العظيم .

استكانت بين ذراعيه ، وراحت تبكى فى مرارة ، وهو يربّت عليها ، مغمغمًا :

ـ هذا أفضل ما نفعله يا حبيبتى .. سندفع تعويضًا كبيرًا لأسرة الشاب ، وسنحتفظ بسرنا هذا لشهر واحد .. شهر أراقبه خلاله ليلًا ونهارًا ، وأكتب تقريرًا وافيًا عن خصاله ، وتكوينه الظاهرى ، وأسلوب تعايشه مع البيئة ، ثم أقدّمه للعالم كله ، وأحقق الشهرة ، التى أحلم بها منذ زمن طويل .. أعدك بأن كل شىء سيسير على ما يرام يا (أحلام) .. صدقينى .. إنها فرصة عمرك .

ذابت دموعها مع كلماتها ، وهى تقول :

ـ ولكن هذا الشىء خطير للغاية يا (على) .

ربّت على شعرها ، وهو يقول :

ـ خطير عندما نجهل وجوده يا حبيبتى .. أما عندما نعرفه ، فسنراقبه ، ونحكم تصرّفاته وأسلوبه .

رفعت عينيها الدامعتين إليه ، وقالت :

ـ وكيف ستطعمه ؟!

عقد حاجبيه فى شدّة ، وانتبه إلى أنه لم يفكّر فى هذه النقطة قط ، إلا أنه لم يلبث أن أجاب فى حزم :

ـ إنه يتناول اللحم النيّىء .. ومن السهل أن نبتاع له كمية منه يوميًا .

ثم أراح رأسها على كتفه مرة أخرى ، وبرقت عيناه فى ظفر ، وهو يتطلّع إلى ذلك الشىء ، الذى واصل نبضاته فى هدوء ، وكرّر :

ـ صدقينى يا (أحلام) .. سيسير كل شىء على ما يرام .. على خير ما يرام.

★ ★ ★

لم يكد (مدحت) يخرج الكيس الصغير من جيبه ، حتى تفجّر الذهول فى عيون الجميع ، أمام ظاهرة عجيبة مدهشة ..

لقد تألّقت تلك المادة داخل الكيس ، وأضاءت كمصباح أخضر قوى ، على نحو لم يتمالك معه الدكتور (حسن) من إطلاق شهقة قوية ، فى حين ألقى (مدحت) الكيس جانبه بحركة غريزية ، وضغط السائق فرامل السيارة بكل قوته ، وهو يهتف :

ـ لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله .

توقّفت السيارة على نحو مباغت ، فاندفع (مدحت) والدكتور (حسن) إلى الأمام فى عنف ، وسقط الكيس بالمادة أرضًا ، فهتف الدكتور (حسن) فى جزع :

ـ احترس يا رجل .

ارتجف صوت السائق ، وهو يقول فى ارتباك :

ـ معذرة يا دكتور (حسن) .. لم أكن أقصد هذا ، ولكن ..

قاطعه (مدحت) :

ـ لابأس .. لابأس .. نحن نفهم موقفك .. هيا .. أكمل طريقك إلى معمل الطب الشرعى .

عاد السائق يقود السيارة فى توتر ، وهو يختلس النظر إلى المرآة الداخلية ، بين لحظة وأخرى ، فى حين التقط الدكتور (حسن) الكيس فى حذر ، وهو يقول مبهورًا :

ـ يا لها من مادة ؟.. كيف تتألق على هذا النحو ؟

هزّ (مدحت) رأسه ، وقال فى مزيج من الدهشة والحيرة :

ـ لست أدرى .. إنها لم تكن تتألق ، عندما كشطتها من أرضية حوض السباحة .

ردّد الدكتور (حسن) :

ـ كشطتها ؟!.. أراهن أنه توجد قصة رهيبة ، وراء هذه المادة .

قال (مدحت) ، وهو يتطلّع إلى المادة :

ـ بالطبع .

ثم راح يروى القصة كلها للطبيب الشرعى ، الذى استمع إليه فى اهتمام بالغ ، والانفعال يتبدّل على ملامحه فى سرعة ، حتى انتهى (مدحت) من روايته ، فقال الدكتور (حسن) فى حماس :

ـ ربّاه !.. وكأننى أستمع إلى رواية من روايات الخيال العلمى .

عقد (مدحت) حاجبيه ، ومط شفتيه ، وهو يقول :

ـ لا داعى لهذا السخف يا دكتور (حسن) .. إننى لم أشعر يومًا بأدنى اهتمام ، أمام تلك النوعية من الروايات الهزلية ، التى تعتمد على المبالغات ، التى يكسونها بثوب علمى سخيف .

ابتسم الدكتور (حسن) ، وقال :

ـ أنت حر فى رأيك يا (مدحت) ، ولكننى على عكسك .. أميل كثيرًا إلى روايات الخيال العلمى ، وأعتبرها أهم خطوة ، فى طريق التنبؤ العلمى ، ومستقبل البشر .

بدت ابتسامة ساخرة على شفتى (مدحت) ، لم تلبث أن تلاشت فى سرعة ، وهو يقول فى جدية :

ـ حسن .. كل منا حر فى رأيه ، ولكننا الآن لسنا أمام رواية من روايات الخيال العلمى ، بل أمام حقيقة واقعة ، تبحث عن تفسير علمى ومنطقى .

ابتسم الدكتور (حسن) ، وتطلّع إلى الكيس فى يده ، وهو يقول :

ـ كثيرًا ما يكون التفسير العلمى أشبه بالخيال .

قال (مدحت) فى اهتمام :

ـ المهم أن يكون تفسيرًا صحيحًا .

اعتدل الدكتور (حسن) فجأة ، وبدا شديد الاهتمام بالكيس الصغير ، فسأله (مدحت) فى قلق :

ـ ماذا هناك ؟

أجابه الدكتور (حسن) :

ـ البريق الأخضر يخفّ تدريجيًا ، ولست أدرى لماذا ؟

قبل أن يجيبه (مدحت) بأى تعليق ، توقفت السيارة ، وقال السائق فى صوت مضطرب ..

ـ لقد وصلنا .

أبدل (مدحت) العبارة فى أعماقه . وقال :

ـ حسن .. هيا بنا يا دكتور (حسن) .. سنكمل حديثنا فى الداخل ، ونحن نفحص هذه المادة العجيبة .

غادرا السيارة والسائق يتابعهما فى قلق ، ويزدرد لعابه فى صعوبة ، ثم لم يلبث أن تنهد فى ارتياح . عندما أغلقا الباب خلفهما ، وهو يبسمل ويحوقل فى أعماقه ، ويشكر الله (سبحانه وتعالى) ، على نجاته من ذلك الشيطان المتألق داخل الكيس الصغير ..

أما الدكتور (حسن) ، فلم يكد يدلف إلى معمله ، حتى هرع إلى مجهره ، وفتح الكيس الصغير فى عناية ، وهو يقول :

ـ لقد فقدت تألقها تمامًا .

سأله (مدحت) فى قلق :

ـ المهم هل يمكن فحصها ؟

أجابه وهو يلتقط بعض المادة بقضيب زجاجى رفيع ، ويفردها فوق شريحة من شرائح المجهر بعناية :

ـ بالتأكيد .. أى شىء يمكن فحصه .

أضاف إلى الشريحة قطرتين من محلول ملحى خفيف ، ثم وضعها تحت عدسة المجهر ، وهو يستطرد فى لهفة :

ـ ما الذى تتوقعه من تلك المادة ؟

ـ هزّ (مدحت) كتفيه ، وقال :

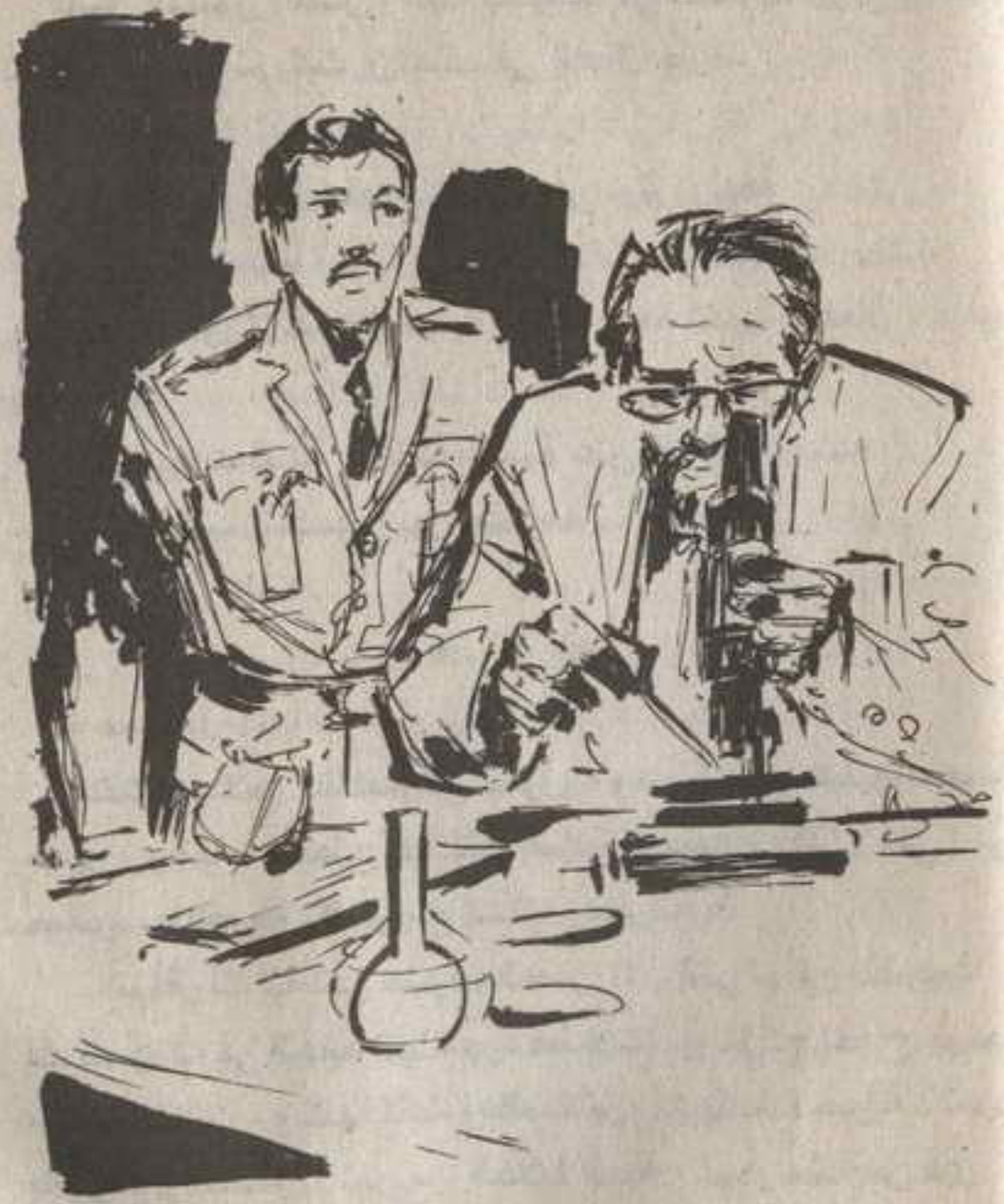

ـ إنها ليست مجرد طلاء ، على أية حال .

ألصق الدكتور (حسن) عينه بالعدسة فى اهتمام ، وراح يراقب تلك المادة ، ثم لم يلبث أن هتف فى انفعال جارف :

ـ مستحيل !

قفز (مدحت) من مقعده ، يسأله فى توتر ولهفة :

ـ هل وجدت شيئًا ؟

رفع الدكتور (حسن) عينيه إليه ، وبدا شديد الانفعال ، وهو يقول :

ـ بل وجدت قنبلة .. قنبلة علمية على كل المستويات .

واختلج قلب (مدحت) بين ضلوعه ..

اختلج فى عنف ..

★ ★ ★

« مستحيل !... » .

هتفت (أحلام) بالكلمة فى ذهول ، وهى تلصق عينيها بعدسة مجهر زوجها ، وتتطلع إلى تلك المادة العجيبة ، فقال (على) فى حماس ، والفرحة تتقافز مع كلماته ونظراته :

ـ ألم أقل لك إنه أكبر كشوف العصر ؟!.. إننى لم أكن أحلم بهذا .. لقد تصوّرت فى البداية أنها مجرّد فضلات ، أو نواتج إخراج طبيعية من ذلك الكائن ، ولكنها كانت أعظم بكثير .. إنها مادة حيوية ، تموج بالحركة والنشاط .. نهر من الخلايا الحية ، لم أر مثله من قبل .

رفعت (أحلام) عينيها عن المجهر ، وهى تقول مبهورة :

ـ إنها سائل الحياة ، بالنسبة لذلك الشىء .. الدم الذى يجرى فى عروقه .. لو كانت له عروق .

قفز (على) إلى المجهر ، وهو يقول :

ـ بل هى أكثر من هذا بكثير .. إنها تحوى خمسة أشكال مختلفة من الخلايا على الأقل ، ومن المحتّم أن لكل منها وظيفة خاصة ، تختلف عن وظائف الخلايا الأخرى .. هل لاحظت هذه الخلايا الكروية .. إنها ـ على الأرجح ـ بديل كرات الدم الحمراء لدينا ، ولكنها خضراء اللون .. أما تلك الكتل المكعبة ، فحركتها تشير إلى أنها أجهزة الدفاع للجسم ، تمامًا مثل كرات الدم البيضاء لدينا .. أما الأشكال العصوية ، والمفلطحة ، وغير المنتظمة ، فلست أدرى وظيفتها بالضبط .

ثم رفع عينه ، مستطردًا فى حماس :

ـ ولكننا سنتوصّل إلى هذا ، بالبحث والدراسة .

وفرك كفيه فى سعادة ، وهو يضيف :

ـ ستكون قنبلة يا (أحلام) .. قنبلة علمية .

راقبته فى قلق ، وتراجعت لتجلس على مقعد قريب ، وهى تقول :

ـ (على) .. إننى أشعر بالقلق .. بل بالذعر .

توقف ، والتفت إليها ، قائلًا فى قلق حقيقى :

ـ لماذا يا حبيبتى ؟

أجابته بصوت أقرب إلى البكاء :

ـ أشعر وكأننا نرتكب جريمة .

هتف فى استنكار :

ـ جريمة ؟!.. أى قول هذا يا (أحلام) ؟!.. إننا علماء ، ولسنا رجال عصابات .

ترقرقت الدموع فى عينيها ، وهى تقول :

ـ ولكننا نخفى جريمة .

اقترب منها ، ووضع يده على كتفها فى حنان ، وهو يقول :

ـ جريمة ؟!.. يا له من مصطلح مخيف !.. ما حدث ليس جريمة يا حبيبتى ، ولا يمكن أبدًا تسميته بهذه الصفة .. سلى أى محام كبير ، وسيؤكد لك أن ما حدث هو مجرد حادث عادى .. إلا لو وجهنا إلى النمر تهمة القتل العمد ، إذا ما اتهم بشريًا .

بكت بالفعل ، وهى تقول :

ـ ولكن هذا الشىء ، الذى نحتفظ به فى حوض السباحة ، ليس نمرًا .. إنه وحش مفترس .. أنت نفسك وصفته بهذا ، عندما رأيته فى الأعماق ، وكدت تغرق بسببه .

انعقد حاجباه فجأة ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح .. كيف لم أنتبه إلى ذلك الأمر .

سألته فى دهشة :

ـ أى أمر ؟!

بدا شديد الحماس والانفعال ، وهو يقول :

ـ لقد كان بإمكان ذلك الكائن أن يلتهمنى فى الأعماق .. بل ويلتهمنا معًا .. فلماذا لم يفعل ؟

أحنقها خروجه عن الموضوع بهذه الطريقة ، فقالت فى عصبية :

ـ (على) .. ماذا دهاك ؟!.. إننا نتحدث عن خطورة هذا الشىء .

رفع سبّابته أمام وجهه ، وهو يقول :

ـ وأنا لم أبتعد كثيرًا عن هذه النقطة يا عزيزتى .. لقد هاجم ذلك الكائن الحارس ، والتهمه ، على الرغم من صراخه ، ومن إطلاقه النار عليه ، كما التهم وبلا رحمة لصًا حاول سرقة الفيلا ، وأثار رعب زميله بشدة ، ودون أن يبالى بالفريسة وموقفها فى الحالتين ، فلماذا لم يهاجمنى أنا أو يلتهمنى ، على الرغم من أننى كنت قيد متر واحد منه ؟!

وجدت نفسها تبحث النقطة ذاتها ، ثم تقول فى حيرة :

ـ ربما لأننى كنت هناك .

قال فى اهتمام :

ـ اللص أيضًا كان له زميل .

أجابت فى سرعة :

ـ ولكن هذا الزميل لم يسقط فى الماء ، ولم ير ذلك الشىء .

هتف (على) فى حماس :

ـ بالضبط !..

ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، مستطردًا :

ـ ولكن لا .. هذا لا يبدو منطقيًا تمامًا .. لماذا خاف فى البداية ؟.. هناك تفسير آخر حتمًا !

قالت فى اهتمام ، أنساها خوفها وتوترها :

ـ أنت قلتها .. خاف فى البداية .. إنه لم يكن يدرك قوة خصومه وطبيعتهم بعد ؛ لذا فقد تراجع لدى رؤيتى ، ولكنه انتبه بعدها إلى أننا أضعف مما كان يتصوّر كثيرًا .. وربما أدرك هذا من خلال ما أصابك داخل الحوض .. عندما فقدت وعيك ..

صفّق (على) بكفيه فى جذل ، وهتف :

ـ بالضبط .. هذا صحيح مائة فى المائة .. أنت عبقرية يا حبيبتى .

وانحنى يطبع قبلة على وجنتها ، ثم استطرد فى حماس :

ـ هيا .. هيا لنلقى نظرة على كاننا الجديد ، الذى سيمنحنا الشهرة والنجاح .

اضطربت وهو يدعوها إلى هذا ، إلا أنها لم تشأ إفساد فرحته وسعادته ، فتحاملت على نفسها ، ونهضت تصحبه إلى هناك ، ولكنها لم تكد تتجاوز الباب الزجاجى الكبير لحجرة المعيشة ، حتى تثاقلت قدماها ، وعجزت عن المضى ، فجذبها (على) فى رفق ، وهو يقول بابتسامة مشجّعة :

ـ ليس هناك ما يخيف .. صدقينى .. لقد زال الخطر ؛ لأننا ندرك طبيعة ما نواجهه .. صدقينى يا حبيبتى .

شجّعتها كلماته بعض الشىء ، ولكنها بذلت جهدًا شديدًا لتتبعه وراح قلبها يخفق فى قوة ، كلما اقتربا من حوض السباحة ، ثم لم تلبث أن توقفت ، وقالت فى توتر :

ـ لا .. لست أستطيع .

أحاطها (على) بذراعيه فى حنان ، وهو يقول :

ـ لا تسمحى للأمر بأن يتحوّل إلى عقدة نفسية .. هيا .. قاومى هذا الخوف المبهم فى أعماقك ، وواجهى مخاوفك ، كما يقول العلم ، وستجدين أنها لا تعنى أكثر من وهم كبير .

استخدمت كل إرادتها ، ودفعت قدميها إلى الأمام دفعًا ، حتى بلغا حافة الحوض ، فعقد الدكتور (على) حاجبيه ، وهو يقول ، وقد انتقل توترها إليه :

ـ أين ذهب ذلك الكائن ؟

انتفض جسدها فى هلع ، وهى تقول :

ـ هل .. هل غادر الحوض ؟

التصقت به فى رعب ، وأخذ هو يتلفّت حوله فى توتر ، ثم هتف فجأة :

ـ ها هو ذا .

وثبت من مكانها مذعورة ، عندما أضاف :

ـ إنه أسفلنا تمامًا .

نظرت تحت قدميها فى هلع ، فضحك (على) فى عصبية ، وقال :

ـ ليس هذا ما أقصده .. إنه ملتصق بالجدار أسفلنا فحسب .

انتقل معها إلى الجانب الآخر من الحوض ،وتطلّعا معًا إلى ذلك الشىء ، الذى التصق بجدار حوض السباحة ، الملاصق للقاع ، وبدا أشبه بقبة كبيرة ، فغمغمت (أحلام) فى خوف واضح :

ـ يبدو أنه سيتسلّق الجدار .

هزّ (على) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا أعتقد هذا .. إنه ينتقل من مكان إلى آخر فحسب .

سألته :

ـ ولماذا يبدو منتفخًا واضحًا هذه المرة ؟

قال فى حيرة :

ـ لست أدرى .. إنه لم يتخلّ عن حذره بالتأكيد .. ربّما وصلنا نحن فى لحظة ذات معنى خاص ، أو ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انتفض الشىء فى قوة ، فصرخت (أحلام) :

ـ ما هذا ؟.. هل سيهاجمنا ؟

أجابها (على) فى انفعال :

ـ كلّا .. ولكن حدسى صدق .. لقد وصلنا فى لحظة خاصة .

اتسعت عيناها ، وهى تراقب ذلك الشىء فى ذعر ، وهو ينتفض مرة ثانية ، وثالثة ، ورابعة ..

ثم فجأة ، توقّف تمامًا ، و ...

ومع الخطوة التالية ، أفرغت (أحلام) كل انفعالاتها فى صرخة .. صرخة هائلة ..

لقد كان ما حدث بشعًا ..

بشعًا للغاية .

★ ★ ★

٨ ـ مرحلة النضج ..

فرك الدكتور (حسن) عينيه ، فى الخامسة والنصف صباحًا ، وتثاءب فى قوة ، ثم سأل (مدحت) :

ـ هل تشعر بالإرهاق ؟

أجابه (مدحت) :

ـ للغاية .. ولكننى أنتظر نتائج تحليل تلك المادة بفارغ الصبر .

أومأ الدكتور (حسن) برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ لن تفوقنى لهفة واهتمامًا .

فرك عينيه مرة أخرى ، ثم نهض قائلًا :

ـ ما رأيك فى قدح من الشاى ؟

ترك (مدحت) جفنيه يتهاويان ، وهو يتمتم :

ـ فكرة رائعة ، ولكننى لست أرى وعاء الشاى هنا .

ابتسم الدكتور (حسن) ، وهو يقول :

ـ سنبتكر واحدًا .

التقط قارورة كبيرة ، وملأها بالماء ، ثم وضعها فوق موقد المعمل ، ولمحه (مدحت) ، من بين جفنيه نصف المغلقين ، فابتسم مغمغمًا :

ـ فكرة طريفة .. ولكن أأنت واثق من أنه معقّم ؟

ضحك الدكتور (حسن) ، وقال :

ـ لا يمكننى الجزم بهذا ..

هزّ (مدحت) كتفيه ، وعاد يسبل جفنيه ، قائلًا :

ـ المهم أن نتناول الشاى ، حتى ولوأخذت ماءه من مستنقع .

عاد الدكتور (حسن) يجلس خلف مجهرة ، وهو يقول :

ـ إنه أنظف من المستنقع بالتأكيد .

ألصق عينيه بعدسة المجهر العينية ، وراح يتابع حركة الخلايا النشطة ، فى عينة المادة ، ويُسجّل ملاحظاته ، فى حين أسلم (مدحت) نفسه لنسائم النوم ، التى داعبته فى رفق ..

وفجأة ، انتبه الدكتور (حسن) إلى ذلك البريق الأخضر ، الذى بدأ يعود إلى عينة المادة ، داخل الكيس الصغير ، فرفع عينيه من المجهر ، وهتف :

ـ انظر يا (مدحت) .

هبّ (مدحت) من مقعده كالملدوغ ، وحدّق فى المادة فى دهشة ، قبل أن يهتف فى مزيج من اللهفة والتوتر :

ـ هل فعلتها مرة ثانية ؟

صاح الدكتور (حسن) :

ـ فهمت .. لقد أشعلت الموقد إلى جوارها .. إنها الحرارة ، التى تدفعها إلى التألق هكذا .. نفس ما حدث ، عندما وضعتها فى جيبك ، واكتسبت حرارة جسدك ، التى تزايدت مع توترك وقلقك ؛ بفضل الديناميكية الفائقة للدم ، فى مثل هذه الظروف .

راحا يراقبان المادة ، التى تزداد تألقًا فى كل لحظة ، ثم قال الدكتور (حسن) مبهورًا :

ـ هل يتزايد حجمها بالفعل ، أم أننى واهم ؟

قال (مدحت) فى انفعال :

ـ بل يتزايد حجمها ، وبسرعة كبيرة .. انظر إلى الكيس .. إنه يكاد يتمزّق مع تضخّمها المستمر .

التقط الدكتور (حسن) قلمه فى سرعة ، وراح يكتب فى أوراقه ، وهو يردّد ما يكتبه فى صوت مسموع :

ـ للحرارة تأثير إيجابى واضح ، على عينة المادة .. إنها تجعلها تتألق ، وتدفعها إلى النمو على نحو عجيب ، وربّما ...

قاطعه صوت تمزّق الكيس ، فأدار عينيه إليه فى دهشة ، ثم اتسعت عيناه فى شدّة ، وهو يهتف بأنفاس مبهورة :

ـ ربّاه !.. يا للبشاعة !

تراجع (مدحت) أيضًا فى دهشة وخوف ، أمام ماحدث ، فقد تضاعفت سرعة نمو المادة مرات ومرات ، وراح حجمها يتضخّم بسرعة مذهلة ..

كانت تتحوّل إلى نسخة طبق الأصل من الشىء الذى أتت منه ..

وصاح الدكتور (حسن) :

ـ هذا مستحيل !.. مستحيل !

أما (مدحت) ، فقد وثب نحو الموقد ، ليغلقه بحركة سريعة ، ولكن ذلك الشىء استدار نحوه بحركة حادة ، ثم برز منه جزء أشبه بذراع ، لطمت (مدحت) بكل قوتها ، وألقته بعيدًا ، وسط أنابيب الاختبار ، التى تحطّمت بدوىّ كبير ، وامتزجت محتوياتها أرضًا ،

وتصاعدت منها أدخنة كثيفة ، فهتف الدكتور (حسن) :

- اهرب يا (مدحت) .. غادر المكان قبل أن تشتعل تلك المواد .

ولكن (مدحت) اندفع مرة أخرى متفاديًا ذلك الشيء ، وحاول إغلاق الموقد للمرة الثانية إلا أنه تلقى لطمة أشد قوة ، ألقته وسط مزيج من السوائل ، فشعر بالآلام فى ظهره وتصاعدت إلى أنفه رائحة نفاذة قوية ، جعلته يسعل ثلاث مرات فى شدة ..

ومع سعاله ، أغمض عينيه ..

ثم فتحهما ..

واتسعت العينان عن آخرهما ..

لقد كان ذلك الشيء يهاجمه ..

وبكل شراسة ..

★ ★ ★

انتفضت (أحلام) فى فراشها ، وانهمرت الدموع من عينيها غزيرة ، على الرغم من محاولتها المستميتة للنوم ، والتى باءت بالفشل التام ، حتى أنها نهضت جالسة ، على طرف الفراش ، وهى تلهث فى شدة ، من فرط التوتر والانفعال ..

لم يمكنها أبدًا أن تنسى ذلك المشهد ، الذى رأته فى حوض السباحة ..

مشهد ذلك الشيء ، وهو يلفظ ما تبقى من طعامه ..

الهيكل العظمى للحارس المسكين ..

كان مشهدًا بشعًا بحق ..

الجمجمة والعظام وثبت من داخله ، وارتطمت بالقـــاع ، وتدحرجت فوقه ، وهى تمتزج ببعضها البعض ، وتتخبّط فى الجدار ..

وراحت هى تصرخ وتصرخ ، حتى وضع (على) يده على فمها ، ورجاها أن تسكت ..

وعندئذ انهارت ..

انهارت تمامًا ..

لقد ظلّت تبكى وتنتحب ، حتى حملها (على) إلى فراشها ، وأرقدها فوقه فى حنان ، ورقد إلى جوارها ، يمسح شعرها فى رفق ..

وعندما هدأت دموعها ، تصوّر أنها استغرقت فى النوم ، فنهض فى حذر ، وأسدل الغطاء على جسدها الرقيق ، ثم غادر الحجرة على أطراف أصابعه ..

ولم تدر لماذا لم تطلب منه البقاء !

ربمَا لأنها كانت تحتاج إلى بعض الوقت مع نفسها ..

ربّما ..

نهضت من فراشها ، واتجهت إلى النافذة ، لتستنشق بعض الهواء النقى ، ولكنها لم تكد تفتح مصراعى النافذة ، حتى انتابها خوف عجيب ، وراحت تبحث بعينيها عن (على) فى لهفة ، قبل أن تغمغم فى توتر بالغ :

ـ لا .. ليس (على) .

ارتدت معطفها المنزلى ، وانطلقت تعدو خارج الفيلا ، نحو حوض السباحة ، وقد هزمت لهفتها على زوجها خوفها من ذلك الشىء الرهيب ..

ثم توقفت بغتة ..

توقفت ، وسرت فى جسدها قشعريرة قوية ، عندما وقع بصرها على (على) ..

كان واقفًا فى الحديقة ، خلف الأشجار القصيرة ، وبيده جاروف كبير ..

وفى خطوات متعثرة متوترة ، اتجهت إليه ، وتفادت المرور إلى جوار الحوض ، حتى بلغته ، فالتفت إليها فى توتر ، وحاول أن يعدّل منظاره الطبى ، إلا أن يديه كانتا متسختين ، فاكتفى بدفعه بطرف سبابته فى حذر ، و (أحلام) تسأله :

ـ ماذا تفعل هنا ؟

ألقى الجاروف خلف ظهره ، وحاول أن يبتسم ، وهو يقول :

ـ أهلا يا (أحلام) .. هل نعمت ببعض النوم ؟

سألته مرة أخرى ، فى لهجة حملت الكثير من الحزم هذه المرة :

ـ ماذا تفعل يا (على) ؟

اضطرب وهو يغمغم :

ـ كان من الضرورى أن أتخلّص من هذه الأشياء .

سألته من جزع :

ـ أيّة أشياء ؟

ازدرد لعابه فى توتر ، وقال :

ـ أعنى العظام .. بقايا العظام .

اتسعت عيناها فى ذعر ، وهتفت :

ـ هل دفنت العظام ؟!.. هل دفنت بقايا الحارس المسكين ؟

قال فى ارتباك :

ـ لم يكن من الممكن أبدًا أن أترك تلك العظام هناك .. كانت ستثير التساؤلات والقلق ، لو جاء ذلك الضابط ، أو ...

صرخت بكل عصبيتها :

ـ أهذا كل ما يقلقك ؟.. أن يفسد الضابط عملك .

ارتبك أكثر ، وكاد منظاره يسقط عن أنفه ، وهو يقول :

ـ بالطبع يا (أحلام) .. ألم نناقش هذا الأمر من قبل ؟

توترت أعصابها ، وارتبكت ، ولم تعد تدرى ماذا تفعل ، أو كيف تفكر ، فانفجرت باكية بغتة ، وصاحت فى لهجة أقرب إلى الانهيار :

ـ ألن ينتهى هذا الأمر ؟!.. ألن ينتهى أبدًا ؟!

تطلع إليها فى إشفاق وحنان ، ثم اتجه إليها فى خطوات مترنحة ، واحتواها بين ذراعيه ، وهو يبذل قصارى جهده ، حتى لا يلوث معطفها المنزلى بالطمى الذى يملأ كفيه ، وقال فى حنان واضح :

ـ من الواضح أنك لا تحتملين الموقف .

بكت على صدره ، وهى تقول :

ـ لم أستطع يا (على) .. صدقنى .. لقد حاولت ، ولكن الأمر يفوق احتمالى .

تمتم مشفقًا :

ـ أنا أقدّر هذا .

كان حنونا متفهمًا ، حتى أنها شعرت بالارتياح ، وهى تسند رأسها على صدره ، فقالت فى لهفة أقرب إلى التوسل والضراعة :

ـ تخلّ عن هذا الأمر يا (على) .. دعنا نعد إلى (الإسكندرية) ، وننسى كل شىء .

كانت تتوقع منه تجاوبًا ، إلا أنها فوجئت به يقول فى حزم :

ـ مستحيل !

أبعدت رأسها عن صدره فى حدة ، وهتفت :

ـ لماذا يا (على) ؟!.. إننى أكاد أموت رعبًا وقلقًا هنا .

قال فى توسّل ، وهو يمسك ذراعيها مرة أخرى :

ـ أرجوك يا (أحلام) .. أرجوك .. إنها فرصة نادرة ، لا يمكن تعويضها .. فرصة فريدة ووحيدة ، لتحقيق حلم حياتى كلها .. أريد أن أتشبّث بها ، لأنه من المستحيل الحصول على مثلها مرة أخرى .. إننا لم نفعل شيئًا ، ولم نرتكب أى جرم .. لقد خاطرت بالهبوط إلى الحوض ، وجمع تلك العظام ، لأننى أومن بأنه من الضرورى أن ندفن بقايا الفتى المسكين .. إننا لم نقتله .. لم نكن ندرك حتى أن هذا سيحدث له .. وسنبذل قصارى جهدنا ، لمنع حدوث هذا مرة أخرى ، لأى كائن كان .. أرجوك يا (أحلام) .. أتوسّل إليك .. لقد بذلت كل ما بوسعى لتحقيق حلمك ، فلا تتخلّى عن حلمى .. أرجوك .

ارتجفت شفتاها ، وهى تستمع إليه ، وانهمرت الدموع من عينيها غزيرة ، وعادت تلقى رأسها على صدره ، وهى تقول :

ـ لا يمكننى الوقوف ضد حلم حياتك يا (على) ، ولكن صدقنى .. لم يعد باستطاعتى الاحتمال .. لقد حاولت ، وفشلت .. أقسم لك .

أومأ برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ أعلم هذا يا حبيبتى .. الموقف يفوق احتمالك بالفعل .. ولكننى وجدت الحل .

رفعت رأسها عن صدره ، وهتفت :

ـ حقًا يا (على) ؟

طبع قبلة على جبينها ، وهو يتمتم فى إخلاص :

ـ حقًا يا حبيبتى .

ثم عاد يضمّها إلى صدره ، مستطردًا فى حزم :

ـ ستعودين إلى (الإسكندرية) .

انتفضت بين ذراعيه ، وهتفت :

ـ مستحيل !!.. مستحيل يا (على) ! لن أتركك وحدك هنا .

قال وهو يعيدها إليه فى حنان .

ـ هذا هو الحل الوحيد يا حبيبتى .

وبطرف عينه ، ألقى نظرة على حوض السباحة ، ثم ضمّها إليه فى شدة ، وأضاف هامسًا فى أذنها مباشرة :

ـ صدّقينى .. إنه الحل الوحيد .

★ ★ ★

لم يشعر النقيب (مدحت) ، فى حياته كلها ، بالرعب والذهول ، مثلما شعر بهما فى هذه اللحظة ، وذلك الشىء الهلامى البشع

ينقّض عليه ، وسط سحابة كثيفة من الدخان ، ولكنه وثب من مكانه بغتة ، وتفادى تلك الانقضاضة ، وابتعد إلى ركن الحجرة الآخر ، والدكتور (حسن) يهتف به :

ـ الموقد .. الموقد يا (مدحت) .

وفى نفس اللحظة فتح سائق سيارة الشرطة باب المعمل ، وهو يهتف :

ـ ماذا حدث ؟.. لقد سمعت من الخارج ...

قبل أن يتمّ عبارته ، اتسعت عيناه فى رعب هائل ، وهو يحدّق فى ذلك الشىء ، الذى اتخذ شكل سحب الدخان ، واستدار إليه ..

ولكن الدكتور (حسن) وثب إلى الأمام ، ودفع الجندى جانبًا ، ثم ضرب الموقد الصغير بيده فى قوة ..

وارتطم الموقد بذلك الشىء ..

واندلعت النيران ..

لقد اشتعل ذلك الشىء القادم من الفضاء ، كما لو كان قطعة من القطن ، مبلّلة بوقود طائرات سريع الاشتعال ..

والتصق (مدحت) بالجدار فى رعب ، وأسرع السائق يعدو هاربًا ، وهو يطلق صرخات رعب عجيبة ، فى حين وقف الدكتور (حسن) بباب المعمل متوترًا ، ساخطًا ، وهو يرى ذلك الشىء يحترق أمامه ..

أما الكائن الهلامى نفسه ، فقد انتفض مرات ومرات ، مع وهج النيران ، ثم سقط وسط المعمل والأدوات المحطّمة ، وراح جسده

ينكمش بسرعة ، وتنكمش معه النيران المشتعلة ، حتى صار أشبه بقطعة من الجمر ..

وامتلأ المعمل بدخان كثيف ، جعل (مدحت) والدكتور (حسن) يسعلان فى شدّة ، وعلى الرغم من هذا اختطف (مدحت) وعاءً من الألياف الزجاجية ، وألقاه فوق ما تبقى من ذلك الشىء ، ثم انتزع أسطوانة الإطفاء ، وزاح بغمر بها قطع المعمل ، التى امتدّت إليها النيران ، حتى أطفأها تمامًا ، وألقى الأسطوانة جانبًا ، ثم جذب الدكتور (حسن) من يده إلى الخارج ، والتصق الاثنان بالجدار يلهثان ، و (مدحت) يقول فى اضطراب كامل :

ـ وأنا الذى كنت أفكّر فى إطفاء الموقد .

تمتم الدكتور (حسن) فى مرارة :

ـ أما أنا ، ففقدت فرصة العمر .

تطلّع إليه (مدحت) فى دهشة ، وقال :

ـ أأنت نادم ؟

تنهّد الدكتور (حسن) ، وقلب كفيه ، قائلًا :

ـ ماذا تريد منى أن أقول ؟

اعتدل (مدحت) ، وقال :

ـ لست أريد أن تقول شيئًا .. كل ما أريده منك هو أن تضع ما تبقّى من ذلك الشىء فى وعاء محكم للغاية ، ثم تحتفظ به داخل مبرّد ، أو فى خزانة محكمة .

لوّح الدكتور (حسن) بيده ، وهو يقول :

ـ هذا الشىء غير أرضى .. إنه كائن لاشبيه له ، فى كل الفصائل والرتب المعروفة .. خذها كلمة متى .

زفر (مدحت) ، وقال :

ـ لست بحاجة إلى كلمة منك .. لقد رأيت كل شىء بنفسى ، ولولا ذلك ما صدّقت حرفًا واحدًا منه .

ثم اعتدل ، واستطرد وكأنه يتحدّث إلى نفسه :

ـ إذن فشىء شبيه بهذا كان فى حوض السباحة ، وهو الذى التهم الحارس المسكين ، وكذلك الـ ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدّة ، فسأله الدكتور (حسن) فى لهفة :

ـ ماذا هناك ؟.. ألديك فكرة ما ؟

وبدلًا من أن يجيب (مدحت) سؤاله ، التفت إليه يسأله فى اهتمام :

ـ قل لى يا دكتور (حسن) : هل تعتقد أن هذا الشىء ، الذى هاجمنا الآن ، هو نفسه الذى يحتلّ حوض سباحة الدكتور (على) ؟

هزّ الدكتور (حسن) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلّا بالتأكيد .. تلك المادة ليست سوى جزءً من الشىء الأصلى ، الذى ما يزال هناك .

هتف (مدحت) فى انفعال :

ـ هذا ما توقّعته .

ثم انطلق يعدو خارجًا ، فهتف به الدكتور (حسن) :

ـ إلى أين ؟

ولكن (مدحت) لم يجب ..

إنه حتى لم يسمع سؤال الدكتور (حسن) ..

لقد كانت هناك مهمة أخرى تشغله ..

مهمة بالغة الخطورة .

إنه حتى لم يهتمّ ، عندما لم يجد سائق سيارة الشرطة ، وإنما قفز إلى السيارة ، وأدار محرِّكها ، وانطلق بها ، فى وجه الشمس ، التى بدأت تشرق فى بطء ، وتمنح الشفق ذلك المزيج الرائع المبهر من ألوان الشروق ..

ولم تمض دقائق عشر ، حتى كان داخل قسم الشرطة ، يسأل الضابط النوبتجى فى انفعال :

ـ مَنْ مِنَ اللصوص هنا يعمل مع زميل ، ويبلغ السابعة والثلاثين أو التاسعة والثلاثين تقريبًا ؟

سأله الضابط فى دهشة :

ـ لماذا ؟.. هل تعرض أحد معارفك لحادث سطو بالإكراه ؟

أجابه (مدحت) :

ـ بل أريد اسم أحد (الهجّامة) ، الذين يسطون على المنازل والفيلّات .

عقد الضابط حاجبيه مفكّرًا ، وهو يقول :

ـ هجّام يعمل مع زميل، وفى أواخر الثلاثينات..دعنى أفكر.. نعم..هناك (رجب)..إنه فى الثامنة والثلاثين، ولقد اعتاد العمل مع زوج شقيقته (فهيم)..ولكن (فهيم) هذا فى الثالثة والأربعين.

سأله (مدحت) فى لهفة :

ـ وما عنوان (فهيم) ؟

بدت الحيرة على وجه الضابط ، وهو يقول :

ـ (فهيم) أم (رجب) ؟

صاح (مدحت) فى عصبية :

ـ بل (فهيم) .. أريد عنوان (فهيم) .

لم يرق أسلوبه للضابط النوبتجى ، خاصة وأنه استخدمه أمام شاويش القسم ، إلا أنه منحه عنوان (فهيم) ، وارتفع حاجباه فى دهشة ، عندما حصل (مدحت) على العنوان ، ثم انطلق يعدو فى لهفة ، وسأل الضابط النوبتجى الشاويش :

ـ ماذا أصابه ؟.. لم أره قط هكذا .. إنه مشهور بالهدوء الشديد .

غمغم الشاويش فى لا مبالاة :

ـ إنه شأنه .

مطّ الضابط النوبتجى شفتيه ، وقال :

ـ نعم .. إنه شأنه .

وعاد يزاول عمله فى ضيق ، دون أن يدرى أن (مدحت) سيواجه ، خلال الساعات القليلة القادمة موقفًا خطيرًا ..

بل أخطر موقف فى حياته كلها ..

وأكثرها هولًا .

★ ★ ★

٩ ـ الأهـــوال ..

هتف عامل معمل الطب الشرعى فى دهشة بالغة ، وهو ينقل بصره من مكان إلى مكان ، ويضرب كفًا بكف ، أمام الفوضى ، التى شملت كل شىء :

ـ ماذا حدث هنا يا دكتور (حسن) .. هل انفجرت قنبلة ؟

أجابه الدكتور (حسن) فى أسى ، وهو يدفع بقايا ذلك الشىء المحترق ، داخل وعاء زجاجى سميك :

ـ بل حدث ما هو أسوأ من انفجار قنبلة يا (مأمون) .. لقد انفتحت أبواب الجحيم على مصراعيها .

سقط فك (مأمون) السفلى فى بلاهة ، وهو يقول :

ـ أبواب ماذا ؟

تنهَّد الدكتور (حسن) ، وهو يقول :

ـ لا عليك يا (مأمون) .. لا تشغل بالك بهذا .. أحضر أدوات النظافة فحسب ، وحاول إزالة هذه الفوضى .

ضرب الرجل كفًا بكف مرة أخرى ، وانصرف لاحضار أدوات النظافة ، وهو يتمتم :

ـ ماذا أصابهم ؟.. إنها قنبلة بالتأكيد .. ولكن كيف لم نسمع الانفجار ؟!

أما الدكتور (حسن) ، فقد أغلق الوعاء الزجاجى ، وتطلَّع فى حسرة إلى ذلك الجسم الصغير ، الشبيه بقطعة من الفحم الأسوَد ، والذى تبقَّى من ذلك الكائن بعد احتراقه ، وهزَّ رأسه فى مرارة ، وهو يقول :

ـ ضاعت فرصة العمر .. كنت سأصبح أشهر أطباء الطب الشرعى فى (مصر) ، وربمَا فى العالم أجمع ، لو لم يحدث ما حدث .. يا للخسارة !.. لو أننى أمتلك عينة أخرى من تلك المادة !..

التقى حاجباه فجأة ، وبدت عليه علامات التفكير العميق ، وهو يغمغم :

ـ ولِمَ لا ؟!

صمت لحظات مفكرًا ، ثم نهض ، واتجه إلى النافذة ، ووقف يتطلَّع منها إلى الطريق فى شرود ، قبل أن يحدِّث نفسه ، مغمغمًا :

ـ نعم .. الشىء الأصلى ما يزال هناك .. فى حوض سباحة فيلا الدكتور (على) .. والدكتور (على) نفسه يمتلك عينة من تلك المادة .. لقد مسحها بمنديله عمدًا .

عاد إلى الصمت لحظات أخرى ، ثم أضاف فى حزم :

ـ نعم .. ولِمَ لا ؟!

ولم تكد الفكرة تستقرّ فى ذهنه ، حتى اندفع إلى الخارج ، واتجه مباشرة إلى سيارته ، التى أحضرها له (مأمون) ، وهتف به هذا الأخير .

ـ إلى أين يا دكتور (حسن) ؟.. ألن تبلغ عن القنبلة ؟

لكنه لم يتلق جوابًا ، فقد قفز الدكتور (حسن) إلى سيارته ، وانطلق بها مباشرة إلى هناك ..

إلى فيلا الدكتور (على) ..

★ ★ ★

هرع (السيِّد) مذعورًا إلى باب منزله ، مع تلك الطرقات العنيفة ، التى أيقظته من نومه ، فى السادسة والنصف صباحًا ، وهتف فى توتر شديد :

ـ من الطارق ؟!.. من يأتى فى هذه الساعة المبكرة ؟

لم يكد يفتح الباب ، حتى شحب وجهه ، وهوى قلبه بين قدميه ، وهو يقول بصوت مرتجف :

ـ (مدحت) بك ؟!.. أهلًا يا (مدحت) بك .. ماذا تريـــد ؟.. أعنى ما الذى ...

قاطعه (مدحت) فى صرامة :

ـ أين (فهيم) ؟

ارتبك (السيِّد) ، وقال :

ـ (فهيم) ليس هنا .. إنه ..

دفعه (مدحت) جانبًا ، قبل أن يتمّ عبارته ، واندفع داخل المنزل ، واتجه مباشرة إلى حجرة (فهيم) ، وجرى (السيِّد) خلفه ، وهو يقول :

ـ أقسم لك إنه ليس هنا .

استدار إليه (مدحت) فى حركة حادة ، وأمسكه من سترة النوم ، وجذبه إليه فى عنف ، وهو يقول :

ـ أين هو إذن ؟.. أجب .

ازدرد (السيِّد) لعابه فى صعوبة ، ومسح بيده عرقه ، وقال فى اضطراب :

لست أدرى ماذا أصابه !.. لقد أصيب برعب هائل ، منذ عاد أوّل أمس إلى هنا .. بل بالجنون ، وظلّ يصرخ ويهذى ، ويتحدّث عن أمر رهيب ، أصاب (رجب) ، ثم غادر المنزل ، ولم يعد منذ ذلك الحين .

صاح به (مدحت) فى لهجة صارمة :

ـ وأين يمكن أن أجده ؟

هتف (السيِّد) :

ـ إنه لم يخبرنى .. أقسم لك .

ثم استدرك فى سرعة وتوتر :

ـ و ... ولكن ..

هزَّه (مدحت) فى عنف ، وهو يقول :

ـ ولكن ماذا ؟!..

مسح (السيِّد) عرقه مرة أخرى ، وحاول السيطرة على توتره واضطرابه ، وهو يجيب بكلمات مرتجفة :

ـ لقد اعتاد الاختباء فى منطقة المقابر .. هناك مقبرة فاخرة لها ساحة مناسبات ، وهو يختبئ عادة فى الساحة .. ساحة (الباشا) .

ثم هتف فى خوف :

ـ إنه مجرّد رأى .

رمقه (مدحت) بنظرة صارمة مخيفة ، ثم قال :

ـ سنرى .

ودفعه جانبًا فى عنف ، وعاد بخطوات سريعة إلى سيارته ، وانطلق بها نحو المقابر ..

كان الضباب ينتشر فى غزارة ، ويحيط كل شىء بغلالة غامضة مخيفة ، جعلت المقابر تبدو أشبه بمشهد من أفلام الرعب ، عندما أوقف (مدحت) سيارته أمامها ، وغادرها فى حذر ، ثم تحرّك فى همة عبر شواهد القبور ، متجها إلى استراحة (الباشا) ..

ومن بين سحب الضباب ، بدت الاستراحة واضحة ..

كانت أشبه بمبنى أنيق من طابق واحد ، تحيط به أربع نوافذ ، يبدو الضوء من إحداها واضحًا ..

وبلا تردّد ، اتجه (مدحت) إلى باب الاستراحة ، وضربه بقدمه ، ثم قفز إلى الداخل ، قائلا فى صرامة :

ـ أهلًا يا (فهيم) .

انتفض (فهيم) فى قوة ، وارتطم بموقد الشاى الصغير ، فسقط وعاء الشاى أرضًا ، وانسكب الماء الساخن ، و (فهيم) يصرخ :

ـ لا .. لا .. لم أفعل شيئًا .

وفجأة ، استلّ من حزامه مسدسًا ، وأطلق نيرانه نحو (مدحت) ..

ووثب (مدحت) جانبًا ، وسمع الرصاصة ترتطم بالباب ، ورأى (فهيم) يعدو نحو النافذة ، ويقفز منها إلى الخارج ، ويعدو وسط المقابر والضباب ..

وقفز (مدحت) واقفًا على قدميه ، واستلّ مسدسه بدوره ، ووثب من النافذة ، وانطلق يعدو خلف (فهيم) ..

وكانت مطاردة عجيبة ..

مطاردة بين شواهد القبور ، سحب الضباب ، المنتشرة فى كل مكان ..

وصاح (مدحت) فى صرامة :

ـ توقف يا (فهيم) ، وإلا واجهت تهمة مقاومة السلطات .

صرخ (فهيم) :

ـ لم أفعل شيئًا .. لم أفعل شيئًا .

كان (مدحت) قد اقترب منه كثيرًا ، ولكنه توقّف فجأة ، وأطلق رصاصة فى الهواء ..

واضطرب (فهيم) ..

اضطرب فى شدّة ، حتى أنه ارتبك ، واصطدم بشاهد أحد القبور ، ثم استدار فى عصبية شديدة ، وصوّب مسدسه إلى (مدحت) ، وهو يقول فى عصبية شديدة :

ـ لا تجبرنى على هذا .

ولكن (مدحت) بلغه بقفزة واحدة ، وركل المسدس من يده بضربة قدم رشيقة ، فشهق (فهيم) ، وتراجع صارخًا :

ـ ماذا تريد منى ؟.. لم أفعل شيئًا .

وعلى الرغم من قوله ، فقد طوّح قبضته فى وجه (مدحت) ، الذى تفادى اللكمة ، ثم لكمه بكل قوته فى معدته ، وأعقب هذه اللكمة بأخرى فى فكه ..

وسقط (فهيم) ..

وقبل أن يفكّر حتى فى النهوض ، كان (مدحت) فوقه ، يلوى ذراعه خلف ظهره ، وهو يقول فى صرامة :

ـ بل فعلت الكثير يا رجل .. شروع فى سرقة فيلا ، ومحاولة قتل ضابط مباحث ، ومحاولة فرار .. ما الذى تريده بعد كل هذا ؟

فوجئ به (مدحت) يبكى فى انهيار شديد ، ويضرب الأرض بجبهته فى عنف ، فنهض وجذبه فى قوة ، ليجبره على الوقوف ، وهو يستطرد :

ـ ولكننى أستطيع التنازل عن كل هذه التهم ، بشرط واحد .

تمتم (فهيم) فى انهيار :

ـ أى شرط .

أجابه (مدحت) فى حزم ، وهو يتطلّع إلى عينيه مباشرة :

ـ ماذا حدث فى الفيلا هناك ؟!.. كيف لقى (رجب) مصرعه ؟

ارتجف جسد (فهيم) ، واتسعت عيناه فى رعب هائل ، وكأنه يستعيد ذكرى ما حدث هناك ، وراح يقول فى ارتياع :

ـ أمر رهيب .. مفزع .. لم يمكننى نسيانه قط .

سأله (مدحت) فى اهتمام أكثر :

ـ صف لى ما حدث بالضبط .

ارتجفت الكلمات على شفتى (فهيم) فى شدّة ، وهو يقول :

ـ كان (رجب) يقف على حافة حوض السباحة ، عندما خُيّل إلىّ أن الأرض قد انسحبت فجأة من تحت قدميه ، وألقته فى مياه الحوض ، وعندما أسرعت إليه ، كان يسبح عائدًا إلى الحافة ، ولكن فجأة ، جذبه شىء ما إلى الأعماق ، ثم أضيئت تلك الأنوار فى قاع الحوض ، و .... و ...

تضاعف ذعره وارتجافه ، عند هذه النقطة ، فقال (مدحت) يستحثه فى لهفة :

ـ وماذا يا رجل ؟.. وماذا ؟

راح (فهيم) ينتفض كفرخ مبتلّ ، وهو يقول :

ـ وعلى أضواء القاع ، رأيت أبشع مشهد فى حياتى كلها .. كان هناك فكّان .. فقط فكّان بلا جسد .. لهما أحدّ وأكبر أسنان رأيتها ، فى عمرى كله .. ولقد انطبق الفكّان عليه ، فراح يقاومهما فى استماتة ، ولكنهما التهما جسده كله .. بل أحاطا به تمامًا ، واحتوياه داخلهما ..

اتسعت عيناه فى هلع لا مثيل له ، وهو يستطرد :

ـ لقد رأيت جسده يقاتل ويقاوم ، داخل ذلك الشىء الهلامى البشع ، الذى التهمه بلا رحمة ، حتى خمدت حركته تمامًا ، وعندئذ ، التصق ذلك الشىء بجدار الحوض ، ولم أعد أستطع تمييز أحدهما عن الآخر .

ثم انهار (فهيم) تمامًا ، وهو يستطرد :

ـ هذا كل ما حدث .. أقسم لك .. أقسم لك .

دفعه (مدحت) جانبًا ، وقد انتقل كل الخوف والفزع والقلق إليه ..

لقد أيقن الآن فقط من حقيقة تلك الشكوك العجيبة ، التى راودته طويلًا ..

أيقن أنه يواجه شيئًا بشعًا ..

يواجه ما لا مثيل له فى عالمه ..

بل فى الدنيا كلها ..

★ ★ ★

ترقرقت الدموع فى عينى (أحلام) ، وهى تحمل حقيبتها ، والتفتت إلى زوجها ، لتقول من بين دموعها :

ـ قدماى تعجزان عن المضى يا (على) .. إنهما لا تقويان على حملى بعيدًا عنك .. كيف أتركك وحدك هنا ، مع هذا الشىء ، وأعود إلى (الاسكندرية) ؟

أحاط كتفها بذراعه فى حنان ، وهو يقول :

ـ صدقينى يا حبيبتى .. هذا أفضل للجميع ، فبرحيلك يمكننى العمل هنا ، دون أن أخشى عليك ، من التوتر الزائد ، والانفعال الدائم .

بكت فى حرارة ، وهى تقول :

ـ وماذا عنى أنا ؟.. كيف يهدأ لى بال فى (الإسكندرية) ، وأنا أعلم أنك تواجه هذا الشىء المفترس هنا ؟

أجابها وهو يطبع قبلة حانية على وجنتها :

ـ سأتصل بك هاتفيًا كل ساعة ، ثم إن خطر ذلك الكائن قد زال تقريبًا ، بعد أن أدركنا ماهيته ، وما يحتاج إليه .. كل المطلوب هو أن أحرص على تغذيته ، وأراقبه طوال الوقت ، وينتهى كل شىء .

تضاعفت دموعها ، وهى تقول :

ـ مازلت لا أشعر بالارتياح .

ربت عليها فى حرارة ، وهو يقول :

ـ اطمئنى يا حبيبتى.. سيسير كل شىء على ما يرام بإذن الله .. المهم أن تسرعى بالفرار الآن ، قبل أن يصل الحارس الصباحى .. هيا .

بكت بين ذراعيه طويلًا ، وهو يقودها فى رفق إلى سيارتهما ..

لم تكن تحتمل بالفعل فكرة فراقه ، فى ظل هذه الظروف ..

لم تكن تدرى كيف تحتمل الابتعاد عنه ، وهو يواجه ذلك الشىء ، الذى تجهل مدى خطورته وقدراته ..

وأمام السيارة مباشرة ، تشبثت به ، هامسة :

ـ أرجوك يا (على) .. دعنى أبق .

طبع على وجنتها قبلة حانية أخرى ، وقال :

ـ أرجوك أنت يا (أحلام) .. ارحلى .. دعينى أشعر بالارتياح تجاهك .

قالت فى ضراعة :

ـ أرجوك .. دعنى أبق ، وسأظل فى حجرتى ، وأكتفى بمراقبتك من الـ ..

قبل أن تتم عبارتها ، تجاوزت سيارة الدكتور (حسن) مدخل الفيلا . واتجهت نحوهما مباشرة . فبترت عبارتها ، وتطلعت إلى السيارة فى قلق . شاركها فيه زوجها ، الذى غمغم متوترًا :

ـ من هذا بالضبط ؟

واصلت السيارة طريقها عبر الحديقة . حتى بلغت موضعهما ، وتوقفت خلف سيارتهما ، وهبط منها الدكتور (حسن) ، وهو يقول :

ـ الدكتور (على) .. أليس كذلك ؟

قال (على) فى حذر :

ـ نعم .. أنا هو .. هل من خدمة ، يمكننى تقديمها إليك ؟

مد الدكتور (حسن) يده ليصافحهما ، وهو يقول :

ـ معذرة لقدومى فى هذا الوقت المبكر . ولكننى كنت واثقًا من أنكما ستكونان متيقظين .. أنا الدكتور (حسن) .. الطبيب الشرعى المسئول هنا .

تبادل (على) نظرة قلقة مع زوجته ، قبل أن يصافح الدكتور (حسن) ، ويسأله فى شىء من الحذر والقلق :

ـ وما الذى يريده طبيب شرعى منا ؟

كان الدكتور (حسن) قد قطع الطريق كله ، من معمل الطب الشرعى إلى الفيلا ، وهو يفكر فى الوسيلة ، التى يمكنه معها مناقشة الدكتور (على) فى أمر ذلك الشىء ، دون أن يثير قلقه أو نفوره ، وبأكثر الطرق لباقة ، إلا أنه وجد نفسه يندفع فجأة ، قائلًا :

ـ أريد عينة من تلك المادة .

انعقد حاجبا (على) فى شدة ، وسرت قشعريرة باردة فى جسد (أحلام) ، فالتصقت بزوجها ، الذى قال فى توتر :

ـ أية مادة ؟

قال الدكتور (حسن) فى لهفة :

ـ الدم .. الدم الأخضر .. المادة التى يموج بها جسد ذلك الشىء ، القابع فى حوض سباحتكم .

شهقت (أحلام) فى دهشة ، فى حين انتفض جسد الدكتور (على) ، واتسعت عيناه فى شدة ، وهو يحدق فى وجه الدكتور (حسن) ، الذى لوّح بكفيه فى انفعال ، وهو يقول فى حماس :

ـ لا تقلقا .. إننى أعرف كل شىء .. لقد قمت بتحليل تلك العينة ، التى أحضرها (مدحت) ، وكانت دهشتى عظيمة .. إنها أكثر المواد الحيوية التى رأيتها فى حياتى كلها ، نشاطًا .. هل لاحظت عدد الخلايا فيها .. أراهن أنك قضيت ليلتك تفحصها .. إنها مزيج من سائل حيوى كالدم ، وخلايا نمو .

ردد الدكتور (على) فى دهشة :

ـ نمـو ؟!

أجابه الدكتور (حسن) فى حماس جارف :

ـ نعم الخلايا الأخرى هى المسئولة عن نمو ذلك الشىء .. إنه يتولد ذاتيًا ، بوساطة تلك المادة .. لقد تركناها قليلًا إلى جوار موقد مشتعل ، ولن تصدق ما حدث .. لقد تمددت ونمت ، وصنعت مخلوقًا كاملًا فى دقائق معدودة .. إنه أعظم كشوف العصر يا رجل هذا الشىء قد يجعلنى أعظم طبيب شرعى فى العالم أجمع .. هل تفهم .. سأحصل على جائزة (نوبل) نفسها .

انتفض جسد (على) فى عنف أكثر هذه المرة ..

لقد طرق الدكتور (حسن) المنطقة المحرّمة ، دون أن يدرى ..

ضرب الشىء الوحيد ، الذى لن يحتمل (على) المساس به ..

حلمه ..

حلم حياته ..

وشعرت (أحلام) بالذعر ..

والتفتت تتطلع إلى زوجها فى هلع ، وتحاول تهدئته بعبارة ما ..

ولكن ما تخشاه حدث ..

حدث قبل أن تنطق حرفًا واحدًا ..

لقد انعقد حاجبا (على) فى شدة ، حتى كادا يمتزجان ، وبدا صوته عنيفًا أجش قاسيًا ، وهو يقول للدكتور (حسن) فى شراسة :

ـ وما شأن الطب الشرعى بكشف كهذا ؟.. إنك تتحدث عن علم تجهله يا رجل .. علم قد تقضى حياتك كلها فى دراسته ، دون أن تصل إلى نصف ما أعلمه أنا عنه .

انتقلت شراسته إلى الدكتور (حسن) ، وهو يقول :

ـ بل أتحدث عن عينة دم جديدة .. عينة لسائل حيوى ، لا مثيل له على الكوكب كله ، والأطباء الشرعيون هم خبراء التعامل مع الدم .

صاح (على) :

ـ هراء .. هذا الكشف بيولوجى بحت ، ولن أسمح لك بمجرد الاقتراب منه .

التقى حاجبا الدكتور (حسن) بدوره ، وهو يقول فى تحد :

ـ حاول أن تمنعنى .

هتفت (أحلام) فى قلق ، محاولة تهدئة الموقف :

ـ رويدكما .. إنكما تتحدثان عن أمر سابق لأوانه .

ولكن أحدهما لم يسمع حتى عبارتها ، فقد قال الدكتور (على) فى شراسة :

ـ سأمنعك بالتأكيد .. بل إننى أمنعك حتى من التواجد هنا .. هذه الفيلا ملكية خاصة ، وليس من حقك دخولها دون إذن .

أطلق الدكتور (حسن) ضحكة عصبية ، وقال :

ـ أهذا ما تظنه ؟!.. هل نسيت أنأملاكك الخاصة هذه قد شهدت جريمتى قتل ، ومن حقى كطبيب شرعى ، أن أفحص مسرح الجريمة .

دفعه الدكتور (على) فى خشونة ، وهو يقول :

ـ اذهب وأحضر إذنًا بذلك إذن ، ولكن حاول إقناع وكيل النيابة بحدوث جريمتى القتل المزعومتين .. إنهما مجرّد حادثتين عرضيتين .

ولكن الدكتور (حسن) ردّ دفعته بضربة قوية ، أسقطته أرضًا ، وهو يعدو نحو حوض السباحة ، هاتفًا :

ـ فليكن .. ولكنك لن تمنعنى أبدًا ، من فحص ذلك الشىء .

صرخت (أحلام) فى هلع ، وحاولت أن توقف زوجها ، ولكنه هبّ واقفًا على قدميه ، وهتف بغضب هادر :

ـ على جثتى .

وانطلق يعدو خلف الدكتور (حسن) ، ووثب يحيط وسطه بذراعيه ، مستطردًا فى حدة :

ـ إنك تتجاوز حدودك .

دفعه الدكتور (حسن) بقدميه فى عنف ، وهو يقول :

ـ كفى يا رجل .. لا تقف فى طريق موكب العلم .

ولكن الدكتور (على) تشبّث به فى استماتة ، وهو يقول :

ـ بل لا تقف أنت فى طريق حلمى الوحيد .

تملّص منه الدكتور (حسن) ، وعاد يعدو نحو حوض السباحة ، هاتفًا :

ـ النجاح ليس حكرًا على أحد .

جرت (أحلام) خلفهما ، وهى تطلق صرخات ملتاعة ، وراحت تهتف ، بكل ما يملأ قلبها ، من توتر وانفعال :

ـ كفى .. كفى ماذا دهاكما ؟.. ماذا تفعلان ؟

ولكن الرجلين كانا قد فقدا صوابهما بحق ، ولحق أحدهما بالآخر ، واشتبكا فى قتال بالأيدى ، أشبه بقتال صبية الشوارع ، والدكتور (على) يصرخ :

ـ إنه حلم حياتى .. لن تنتزعه منى أبدًا .

هتف الدكتور (حسن) :

ـ هذا الشىء ليس ملكًا لك .. إنه ملك للعالم .

صاح (على) :

ـ ولكنه فى فيلتى أنا .

صرخ (حسن) :

ـ هذا لا يمنحك الحق فى احتكاره .

تشبّث كل منهما بالآخر ، وراحا يركلان ويضربان بعضهما البعض ، بلكمات وضربات عشوائية ، و (أحلام) تصرخ :

ـ كفى بالله عليكما .. كفى .

وفجأة ، انزلقت قدم الدكتور (حسن) ، على حافة الحوض ، فتشبّث بالدكتور (على) ، وجذبه معه فى سقطته ، و ...

وسقط الاثنان داخل حوض السباحة الفارغ ..

ومن حسن حظهما أنهما سقطا بالقرب من أقل نقاطه عمقًا ، والتى لا يتجاوز عمقها مترًا واحدًا ، ولكن السقطة كانت عنيفة ، آلمتهما بشدّة ، وصرخت (أحلام) ، وهى تعدو نحوهما :

ـ لا .. ليس فى الحوض .

تدحرجا مع قتالهما ، نحو الجزء العميق من الحوض ، ثم توقفا فى منتصف الطريق . ونهض الدكتور (حسن) ، وهو يقول فى غضب :

ـ لن تحتكر هذا الشىء وحدك .. القانون لا يمنحك هذا الحق .

نهض الدكتور (على) بدوره ، وهو يقول :

ـ وأنت لن تحصل عليه ، ما دام فى صدرى نفس يتردّد .

همّ الدكتور (حسن) بالتعقيب ،ولكن ..

فجأة ، انفصل جزء من جدار الحوض ، على قيد مترين منهما ، وتحوّل فجأة إلى فكين كبيرين ، لهما أبشع أسنان رأياها فى حياتهما كلها . وهو ينقضّ عليهما ، فأطلقت (أحلام) صرخة رعب لا مثيل لها ..

كان هذا هو الشىء ..

وكانا هما وجبته ..

وجبته الآدمية .

★ ★ ★

١٠ ـ النيـــران ..

أسرع عامل محطة البنزين إلى سيارة الشرطة ، وابتسم وهو يقول فى حرارة :

ـ صباح الخير يا (مدحت) بك .. لماذا تقود السيّارة بنفسك اليوم ؟

هتف به (مدحت) فى انفعال :

ـ ألديك زجاجات فارغة ؟

رفع الرجل حاجبيه فى دهشة ، وقال :

ـ زجاجات فارغة ؟!.. لماذا ؟

صاح (مدحت) فى حدة :

ـ ألديك زجاجات فارغة أم لا ؟

ارتبك الرجل أمام هذا الأسلوب ، وهو الذى يعهد (مدحت) هادئا باسم الثغر دائمًا ، وتراجع وهو يشير بيده ، قائلًا :

ـ بالتأكيد يا (مدحت) بك .. هناك زجاجتان ، أو ثلاث ..

صاح به (مدحت) :

ـ أحضرها كلها .

أسرع الرجل يحضر الزجاجات الثلاث ، فقال (مدحت) بلهجة آمرة ، وهو يمزّق منشفة بالية ، ويصنع منها عدة شرائط طويلة :

ـ املأها بالبنزين .

أطاعه الرجل ، وهو يتطلّع إليه فى دهشة بالغة ، وناوله الزجاجات الثلاث ، الممتلئة بالبنزين ، فنّس (مدحت) الشرائط ، فى فوهة كل منها ، بعد أن بللها بالبنزين ، فسأله الرجل فى قلق :

ـ ماذا تصنع بالضبط يا (مدحت) بك ؟

أجابه (مدحت) فى سرعة

ـ قنابل (مولوتوف) .

تراجع الرجل فى هلع ، وهو يقول :

ـ قنابل ماذا ؟

ولكنه لم يحصل على جواب هذه المرة ..

لقد انطلق (مدحت) بالسيارة على الفور ، دون أن ينقده حتى ثمن البنزين ..

وضرب الرجل كفًا بكف ، وهو يهزّ رأسه قائلًا :

ـ لاحول ولا قوة إلا بالله .. ماذا أصابه ؟

أما (مدحت) نفسه ، فكان يموج بانفعالات شتى ، فى هذه اللحظة بالذات ، وهو ينطلق نحو فيلا الدكتور (على) ..

لقد أصبح واثقًا من وجود شىء ما هناك ، أشبه بذلك الذى هاجمه ، ، فى معمل الطب الشرعى ..

لقد رآه بنفسه هناك ..

رآه فى حوض السباحة ، ولكنه لم ينتبه إلى ما رأى ..

صحيح أنه ليس عالمًا ، ولم يهتمّ فى حياته كلها بالعلوم ، ولكنه يدرك أن هذا الشىء قاتل شرس ، يمتلك قدرة مذهلة على التكاثر بلا حدود ..

ولابد من القضاء عليه ..

والوسيلة الوحيدة ، التى يعرفها (مدحت) ، والتى اختبرها بنفسه ، للقضاء على ذلك الشىء ، هى النار ..

ولهذا صنع قنابل (مولوتوف) ..

ولكن المهم أن يصل فى الوقت المناسب ، للقضاء على ذلك الشىء ، قبل أن يتمادى ، ويلتهم الدكتور (على) نفسه ، أو زوجته (أحلام) ..

وأصبح هذا هو هدفه الوحيد ..

أن يصل إلى ذلك الشىء ..

وفى الوقت المناسب ..

★ ★ ★

اتسعت عينا الدكتور (حسن) فى ارتياع ، وهو يتطلّع إلى الفكين البشعين ، اللذين ينقضّان عليه بلا جسد ، ولكن الدكتور (على) جذبه فى قوة ، وهو يهتف :

ـ ربّاه !!.. أسرع يا رجل .. إنه جائع .

انتزعته جذبة الدكتور (على) من ذهوله ، فأسرع يعدو معه ، نحو سلم الحوض ، فى حين أخذت (أحلام) تصرخ :

ـ أسرع يا (على) .. أسرع .

توقّف ذلك الشىء لحظة ، عندما أدرك أنه لن يلحق بهما ، ثم لم يلبث أن ذاب فجأة ، وعاد يتخذ شكل جدار الحوض ، ويلتصق به فى قوة ..

أما هما ، فقد بلغا السلّم ، وتسلّقاه فى سرعة ، دفعهما إليها الخوف ، حتى بلغا قمته . وقفزا خارج الحوض ، فأسرعت (أحلام) تحتضن زوجها ، وهى تصرخ :

ـ لا تبق وحدك يا (على) .. لا تبق إلى جوار تلك الشىء أبدًا .

أحاطها (على) بذراعيه ، وهو يلهث فى انفعال ، وراح يربّت على ظهرها مهدئًا ، فى حين ألقى الدكتور (حسن) جسده على أقرب مقعد إليه ، وهو يردّد :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .. لقد نجونا بأعجوبة .

بكت (أحلام) فى حرارة ، على كتف زوجها ، لتفرغ انفعالها الجارف ، وتطلّع إليها الدكتور (حسن) لحظة مشفقًا ، ثم ربّت على كتف الدكتور (على) ، مغمغمًا :

ـ لقد أنقذت حياتى ، وأنا أدين لك بالشكر .

وصمت لحظة ، ثم استدرك :

ـ وبالاعتذار أيضًا .

غمغم الدكتور (على) :

ـ هذا الشىء ملكى وحدى .

أومأ الدكتور (حسن) برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ لا بأس .. ولكن لو احتجت إلى معاونة أو مشورة ، فلا تنس أننى رهن إشارتك .

ثم ابتسم ابتسامة شاحبة ، وقال :

ـ ويمكن أن يقتسم اثنان جائزة (نوبل) .. أليس كذلك ؟

بادله الدكتور (على) ابتسامته بابتسامة باهتة ، دون أن يجيب ، فربت الدكتور (حسن) على كتفه مرة أخرى ، ونهض قائلًا :

ـ أظن أن أفضل ما أفعله الآن هو أن أنصرف .

لم يحاول أحدهما منعه ، وهو يتجه إلى سيارته ، ولكنهما تابعاه ببصرهما ، وأرخت (أحلام) رأسها على صدر زوجها ، وهى تراقب الطبيب ، الذى اقترب من سيارته ، وحاول الدوران حول الشجرة الصغيرة ، التى تعترض طريقه إليها ، و ...

وفجأة ، اعتدلت (أحلام) ، ورفعت رأسها عن صدر (على) ، واتسعت عيناها فى هلع ..

ثم صرخت بغتة :

ـ توقف يا دكتور (حسن) .

توقف الرجل دفعة واحدة ، والتفت إليها ، يسألها فى قلق :

ـ ماذا هناك يا سيدتى ؟

وسألها (على) أيضًا :

ـ ماذا حدث يا (أحلام) ؟

أشارت إلى الشجرة الصغيرة بسبابة مرتجفة ، وهى تقول :

ـ تلك الشجرة هناك .

التفت الدكتور (حسن) فى حيرة إلى الشجرة ، ثم عاد يستدير إليها ، ويسألها :

ـ ماذا عنها يا سيدتى ؟

انتقلت الارتجافة إلى صوتها ، وهى تجيب :

ـ إنها لم تكن هناك .. لا توجد أشجار فى ذلك المكان .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى اهتزت الشجرة الصغيرة ، وتموجت ، ثم تحولت إلى فكين هائلين ، بأسنان كبيرة رهيبة ..

وصرخ (على) :

ـ احترس يا رجل .

وثب الدكتور (حسن) بعيدًا فى هلع ، وحدق فى الفكين المخيفين ، اللذين يتجهان نحوه ، وردد :

ـ مستحيل !.. مستحيل !

قفز الدكتور (على) واقفًا على قدميه ، وصاح :

ـ اهرب يا رجل .. اهرب .. لا تقف جامدًا هكذا .

استدار الدكتور (حسن) ، وانطلق يعدو بكل قوته ، ولكنه ارتطم بسيارته ، ففقد توازنه ، وسقط متدحرجًا على الأرض ..

واتجه إليه الفكان الرهيبان ، و (أحلام) ترند فى رعب هائل :

ـ لقد خرج .. لقد غادر الحوض ..

أما الدكتور (على) ، فقد انتزع أحد مقاعد الحديقة ، وانطلق يعدو نحو ذلك الشىء ، الذى يهم بالتهام الدكتور (حسن) ..

وصرخت (أحلام) ، وجسدها كله ينتفض رعبًا :

ـ لا يا (على) .. لا تذهب إليه .

ولكن (على) واصل طريقه ، وهوى على الفكين بالمقعد ، بكل ما يملك من قوة ..

وتوقف الفنّان لحظة ، ثم تحوّلا إلى كتلة هلامية ، أحاطت بالمقعد كله ، فأسرع (على) يعاون (حسن) على النهوض ، وهو يقول :

ـ سينشغل بهذا لحظات .. دعنا نحسن استغلالها ، للابتعاد عن هنا .

ولكن ذلك الشىء انتفض فجأة ، ولفظ المقعد فى عنف ، ثم تكوّر حول نفسه ، وعاد يهتزّ بشدّة ، فصرخت (أحلام) :

ـ ابتعد عنه يا (على) .. ابتعد .

ولكن (على) لم يسمعها ..

وكذلك الدكتور (حسن) ..

كانا مبهورين تمامًا ، بذلك التحوّل ، الذى طرا فى هذه المرة ، على ذلك الشىء ..

إنه لم يتخذ شكلًا نمطيًا ..

لقد تحوّر تحوّرًا تامًا ..

وكان هذا التحوّر مدهشًا ..

بل مذهلًا ..

لقد اتخذ ذلك الشىء ، وبسرعة عجيبة ، وأمام العيون الذاهلة ، شكل أقرب شىء إليه ..

البشـر ..

وحتى فى هذا ، لم يكن ذلك الشىء عاديًا ..

لقد اتخذ هيئة بشرية ، تجمع ما بين الدكتور (حسن) والدكتور (على) ..

كان نصفه طوليًا ، صورةً طبق الأصل من الدكتور (على) ، بملامحه ، وهيئته ، وثيابه ، والنصف الثانى نسخة مماثلة من الدكتور (حسن) ..

وتراجع الرجلان فى ارتياع ..

أما (أحلام) ، فقد انحبست الصرخات فى أعماقها ، واختنقت خلف حاجز الرعب والذهول ، الذى حجب نفسها ، فراحت تحدّق فى ذلك المشهد الرهيب ، وكل خلية من خلاياها ترتجف وتنتفض ..

وتقدّم ذلك الشىء نحو خصميه ..

وفى هذه المرة ، كان الدكتور (حسن) هو أوّل من هزم ذهوله ، وصاح وهو يدفع الدكتور (على) بعيدًا ..

ولكن الشىء بلغهما بسرعة ..

بأسرع كثيرًا مما توقعًا ..

وقبل أن يبتعدا هاربين ، لطم ذلك الشىء الدكتور (على) بقوة ، انتزعت الرجل من مكانه ، وألقت به على قيد ثلاثة أمتار فاقد الوعى ، ثم استدار إلى الدكتور (حسن) ، الذى تراجع صارخًا :

ـ لا .. لا .. لا تقتلنى .

وحاول أن يتراجع أكثر ، ولكن ظهره ارتطم بسيارة الدكتور (على) ، فشهق فى رعب ..

وتقدّم منه الشىء ..

وبصورة لا مثيل لها ، راح منتصف ذلك الشكل شبه البشرى يتموّج ، ويتحوّل ، إلى فكين رهيبين ، وأسنان مخيفة .

وانتفض قلب (أحلام) فى ارتياع ..
وهوى قلب الدكتور (حسن) بين قدميه ..
وانهارت مشاعره .
و ...
وهنا اقتحم (مدحت) المكان ..
اقتحمه بسيارة الشرطة ، وعبر حديقته بسرعة كبيرة ، قبل أن يضغط فرامل سيارته فى عنف ، ويقفز خارجها ، وهو يحمل زجاجات البنزين الثلاث ، ويهتف بصوت يموج بالانفعال :
ـ كفى أيها الشىء .. كفاك ضحايا .
ألقى زجاجتين أرضًا ، ثم أشعل قدَّاحة ، وألهب بها ذلك الشريط القماش فى فوهة الزجاجة الثالثة ، وهو يستطرد :
ـ خذها هدية منى .
التفت إليه ذلك الشىء فى بطء ، وصاحت (أحلام) :
ـ اهرب يا دكتور (حسن) .. اهرب .
ولكن الشىء استدار بسرعة إلى الدكتور (حسن) ، ولطمه لطمة قوية أخرى . ألقته فوق السيارة ، فتدحرج فوق مقدمتها ، وسقط خلفها فاقد الوعى ..
وهنا صرخ (مدحت) :
ـ خذها منى .
وألقى الزجاجة المشتعلة ..
قنبلة (المولوتوف) ..

وانتفض جسد (أحلام) فى هلع ..
لقد تحرَّك الشىء فى سرعة ، والتقط الزجاجة ، بيده المتحوِّرة إلى هيئة بشرية ، وألقاها نحو (مدحت) ..
واتسعت عينا (مدحت) فى هلع ..
وانطلق محاولًا الابتعاد ..
ولكن الزجاجة سقطت أمامه ، على قيد ثلاثة أمتار من سيارته ..
وتراجع (مدحت) بقفزة واحدة ..
ولكن الزجاجة انفجرت ..
ومع انفجارها ، شعر (مدحت) بجسده يطير فى الهواء ..
ثم يسقط ..
وكان السقوط مريعًا ..
لقد سقط من ارتفاع ثلاثة أمتار ، داخل حوض السباحة الفارغ ..
وارتطم ظهر (مدحت) بقاع الحوض فى عنف ..
ودارت الدنيا أمام عينيه ..
ثم أظلمت ..
أما (أحلام) ، فقد شملها رعب هائل ، من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدميها ..
لقد أصبحت وحيدة ..
وحيدة وسط ثلاثة رجال فاقدى الوعى ، فى مواجهة ذلك الشىء القاتل ، الآتى من غياهب الفضاء ..

وفى بطء ، التفت ذلك الشيء إليها ، وتطلّع إلى وجهها بنظرة خاوية ، من مسافة عشرة أمتار ، ثم استدار فى بطء ، ويمم وجهه شطر زوجها الملقى أرضًا ..

واتسعت عينا (أحلام) فى رعب ، وهتفت بصوت مختنق :

ـ لا .. ليس (على) .

ولكن ذلك الشيء سار ببطء نحو (على) ، وراح يتحوَّر تدريجياً إلى الفكين الرهيبين ، وقد أدرك أخيرًا أنه يواجه خصومًا أقل قوة منه بكثير ..

وارتجف جسد (أحلام) فى عنف ..

ارتجف كما لم يرتجف من قبل ..

لم يكن باستطاعتها أبدًا تخيل زوجها ضحية لذلك الشيء ..

ضحية لا يتبقّى منها سوى كومة من عظام نظيفة . خالية من كل شيء ، حتى النخاع ..

ولكن الشيء يقترب من (على) ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وهنا انتصر الحب ..

حب (أحلام) الجارف لزوجها هزم رعبها من ذلك الشيء ، وبثّ فى نفسها قوة وتصميمًا ، لا مثيل لهما ..

وبكل قوتها ، انطلقت (أحلام) تعدو نحو زجاجتىّ البنزين ، اللتين ألقاهما (مدحت) خلفه ، والتقطت إحداهما ، ثم جرت نحو سيارة (على) ، وقفزت داخلها ، وأدارت محرّكها وانطلقت بها نحو ذلك الشيء ، صارخة :

ـ لن تحصل على زوجى أبدًا .

كان ذلك الشيء قد أصبح قيد متر واحد من زوجها ، واتسع الفكان يهمان بالتهامه بالفعل ، عندما سمع صوت السيارة من خلفه ، فاستدار يواجهها ، و ...

وصدمته (أحلام) ..

صدمته بمقدمة السيارة ، ودفعته أمامها بسرعة كبيرة ، وهى تصرخ :

ـ لن تحصل عليه ..

سارت السيارة عدة أمتار ، وهى تدفع ذلك الشيء أمامها ، حتى ارتطمت بواحدة من الأشجار الصغيرة ، المحيطة بحوض السباحة ، وتوقفت ..

وفى بطء ، راح ذلك الشيء يذوب ، ويتحوَّر ، محاولًا التخلّص من ذلك الموقف ، والسيارة تلصقه تقريبًا بالشجرة ..

وكاد ينجح فى التملّص ..

لولا (أحلام) ..

لقد قفزت خارج السيّارة ، وهى تحمل زجاجة البنزين ، وقدّاحة زوجها ..

وبسرعة ، أشعلت النار فى شريط القماش ، كما رأت (مدحت) يفعل ، ثم ألقت الزجاجة نحو الكائن ، هاتفة :

ـ هيا .. خذها منى أنا ..

وانفجرت قنبلة (المولوتوف) ..

انفجرت هذه المرة فى ذلك الشىء تمامًا ..

وقفزت (أحلام) جانبًـا ، والنيـران تشتـعل فى كل شىء فى السيارة ، والشجرة الصغيرة ..

وفى ذلك الشىء ..

وفى عنف ، راح ذلك الشىء ينتفض وينتفض ، ثم لم يلبث أن استكان ، وراح ينكمش ، وينكمش ، حتى لم تتبق منه سوى جمرة صغيرة ملتهبة .

وهنا ..

هنا فقط ، انفجرت (أحلام) باكية ..

وانهارت ..

انهارت تمامًا .

★ ★ ★

١١ ـ الختـــام ..

ارتكن النقيب (مدحت) إلى سيارة الشرطة ، وهو يشعر بآلام شديدة فى ظهره ، لم تمنعه من الابتسام فى ارتياح ، وهو يتابع (أحلام) و الدكتور(على) ، وهما يحملان حقائبهما ، ويتجهان إليه ، فى حين تمتم الدكتور (حسن) فى أسى :

ـ فقدنا فرصة العمر .

قال (مدحت) :

ـ بل قل : نجونا يا رجل .. كنا سنفقد العمر نفسه ، بسبب فرصة العمر هذه .

تنهّد الدكتور (حسن) ، وقال :

ـ أنت على حق .

اعتـدل (مدحت) ، وقال وهـو يمـدّ يـده ، ليلتقط حقيبة (أحلام) :

ـ أهنئك يا سيّدتى .. لقد كنت أشجعنا ، وأنقذت حياتنا جميعًا .

أراحت رأسها على صدر زوجها ، وهى تقول :

ـ لم أكن لأسمح لذلك الشىء أبدًا بقتل (على) .

ابتسم الدكتور (حسن) ، وقال :

ـ أنت محظوظ بزوجتك يا دكتور (على) .

ضمّ (على) (أحلام) إليه ، وقال :

ـ كلنا محظوظون يا دكتور (حسن) .. لست أدرى كيف كنا نفكّر فى الحفاظ على ذلك الشىء .. لقد خدعنا طموحنا العلمى ، وصوّر لنا أننا سنربح ببقائه .. يا إلهى !.. لا يمكننى أن أتصوّر ما كان يمكن أن يقاسيه العالم ، لو أن ذلك الشىء نجح فى التولّد والتكاثر ، وملأ الأرض بكائنات على شاكلته .. يا للهول !.. إننى أرتجف من مجرّد الفكرة .

تمتم الدكتور (حسن) :

ـ ولكن كان ينبغى أن ندرسه على الأقل .

قالت (أحلام) مستنكرة :

ـ وما الفائدة ؟

أجابها فى سرعة :

ـ حتى يمكننا مواجهته ، لو ظهر مرة أخرى .

ارتجف جسدها ، لمجرّد عودة مثل ذلك الشىء ، وضمّها (على) إليه أكثر ، وهو يقول :

ـ أتعشّم ألا يحدث هذا قط .

وضع (مدحت) حقائبهما فى سيارة الشرطة ، وهو يقول :

ـ من أين تظنان أنه جاء ؟

تبادل الدكتور (على) والدكتور (حسن) نظرة متفهّمة ، وأجاب الأوّل ، وهو يشير بسبّابته إلى أعلى :

ـ من الفضاء الخارجى على الأرجح .. ربمّا داخل قطعة من نيزك ، أو ما شابهه .. فالنيازك كما تعرفون ، هى بقايا كواكب انفجرت وتحطّمت ، كما تقول نظريات علماء الفضاء ، وربما يمتلك ذلك الشىء القدرة على التحوصل ، مثل بعض الكائنات البدائية ، وتحطّم كوكبه فى أثناء تحوصله .. والحويصلات تقاوم العوامل الخارجية بقوة ، ويمكنها أن تحتمل الحرارة المرتفعة ، فى أثناء عبور النيزك للغلاف الجوى ، وعند هبوطه تخلّص من حوصلته ، وبدأ يبحث عن طعامه ، فى بيئة تختلف كثيرًا ، عن البيئة التى نشأ فيها .

هتف الدكتور (حسن) :

ـ يا له من تفسير متقن !.. كيف توصّلت إليه يا رجل ؟

هزّ الدكتور (على) كتفيه ، وقال :

ـ إنه عملى .

سأل (مدحت) (أحلام) ، وهم يركبون سيارة الشرطة :

ـ هل ستغادران الفيلا طويلًا ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وغمغمت :

ـ بالتأكيد .. لن أنسى ما حدث هنا بسهولة .

سألها والسيارة تنطلق بالجميع ، إلى موقف سيارات (الإسكندرية) :

ـ وماذا عن حوض السباحة ؟

لوّحت بكفها فى عنف ، قائلة :

ـ لم أعد أريده .. سنردمه فور عودتنا إلى الفيلا .

ربت الدكتور (على) على كتفها مهدئًا ، وهو يقول :

ـ سيمضى وقت طويل ، قبل أن يزول تأثير ما حدث .

وافقه (مدحت) بإيماءة من رأسه ، فى حين التقط الدكتور (حسن) نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ بالتأكيد .

ران عليهم الصمت ، حتى بلغت سيارة الشرطة موقف سيارات الأجرة ، العائدة إلى (الإسكندرية) ، وغادرها الدكتور (على) و (أحلام) ، والتفت الدكتور (على) إلى (مدحت) يسأله :

ـ هل ستقدم تقريرًا بما حدث ؟

هزَّ (مدحت) رأسه نفيًا ، وقال وهو يرسم على شفتيه ابتسامة هادئة :

ـ لن يصدقنى أحد .. ربما اتهمونى بالجنون .

أومأ الدكتور (على) برأسه ، وغمغم :

ـ هذا ما توقعته .

تبادلوا التحية جميعًا ، وابتعدت سيارة الشرطة ، وداخلها الدكتور (حسن) و (مدحت) ، وغمغم الثانى فى أسف :

ـ من الخسارة ردم حوض سباحة جميل كهذا .

وافقه الدكتور (حسن) ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .. فمن الممتع أن تمتلك حوض سباحة ، وخاصة فى يوم حار كهذا .

وكان اليوم حارًا بالفعل ..

والشمس تشرق فى كبد السماء ، وتتسلل عبر الباب الزجاجى الضخم ، لحجرة المعيشة فى فيلا الدكتور (على) ، لتبعث الدفء والحرارة فى المكان ، وبخاصة فى ذلك المنديل ، الذى نسيه الدكتور (على) فوق المنضدة ، وهو يحوى عينة من تلك المادة الفسفورية الخضراء ..

ومع الدفء والحرارة راحت هذه المادة تتألق ..

ثم أخذت تنمو ..

وتنمـو ..

وتنمـو ..

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

١٢٤٣٩

روايات مصرية للجيب

كوكتيل ٢٠٠٠

باقة من القصص
والروايات المصرية
قمة فى التشويق والإثارة

فى هذا الكتاب

صفحة

- لدواعى الأمن (قصة قصيرة) .. ٥
- اختبر معلوماتك ١٣
- حلول اختبر معلوماتك ٢٠
- **عملية صقر** (الجزء الثانى) ٢١
- لو علمتم الغيب (قصة قصيرة) ٦٨

قصة العدد

الشىء ٧٧

- عزيزى القارئ ٢١٤

الثمن فى مصر ١٥٠ قرشاً
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم